الفصل الخامس
فقهاء المالكية والحياة العلمية والثقافية في بلاد السودان الغربي

١ ـ التكوين العلمي والثقافي لفقهاء المالكية .

٢ ـ الدور التعليمي لفقهاء المالكية في السودان الغربي.

٣ ـ الإنتاج العلمي والثقافي لفقهاء المالكية .

٤ ـ الصلات العلمية والثقافية بين فقهاء مالكية السودان الغربي وفقهاء المالكية في المغرب ومصر والحجاز .

استفادت الحركة العلمية والثقافية في السودان الغربي من تشجيع الولاة والسلاطين علي تحصيل العلم منذ أن أصبح الإسلام دينا رسميا للدولة في عهد دولة مالي ، فقد دأب بعض سلاطين دولتي مالي وصنغي علي بناء المساجد أو المساهمة في إنشائها ، حيث لم يقتصر دورها علي المجال الديني فقط ، بل كانت أماكن لتلقين العلم والمعرفة .

وقد شهدت دولة مالي الإسلامية وبخاصة في عهد منسا موسي نشاطا علميا ، وازدهرت فيها الثقافة الإسلامية واللغة العربية لاسيما بعد رجوعه من أداء فريضة الحج عام ٧٢٦ هـ/ ١٣٢٥م[١] ، واصطحابه عدداً من علماء المشرق العربي والمغرب إلى دولته . كما قام بشراء الكثير من أمهات الكتب التي ساهمت في ازدهار الحركة العلمية في السودان الغربي كله ، وقد بني في تنبكت الجامع الكبير سنة ٧٢٤هـ/ ١٣٢٤م ، ووسع مسجد سنكري[٢] ، الذي غدا جامعة إسلامية عريقة.

كما قام منسا سليمان في دولة مالي الإسلامية بجهود لدعم الحركة العلمية فبني المساجد والجوامع ورمم المتصدع منها وصانها . واستقدم كثيرا من العلماء والفقهاء

---

(١) هذا الملك من أعظم ملوك مملكة مالي ، وقد أطنب المؤرخون في ذكر موكب حجه الذي كان في سنة : ٧٢٤هـ ، ١٣٢٤ف ، وهي السنة السابعة عشرة من حكمه ، وصحبه في ذلك جحافل من العلماء والأعيان ، فانتشرت شهرة مالي وارتفعت إلى الذروة في المدن التي شهدت مرور قافلته الفخمة في شمال إفريقيا والقاهرة وفلسطين وغيرها ، وذلك بسبب قيامه بالحج إلى مكة والعظمة التي لازمته في الرحلة ، وكان لحجه أثر كبير في ازدهار الحركة العلمية والثقافية حيث استقدم عددا من العلماء الفقهاء والأدباء من جميع أنحاء العالم الإسلامي وبخاصة من الحجاز ومصر وشمال إفريقيا أنظر ،محمود كعت : الفتاش ، ص٣٣ ،السعدي : تاريخ السودان ، ص ٦،٧ سابق ، المقريزى : الذهب المسبوك في ذكر من حجّ من الخلفاء والملوك ، ص ١١٠

: bugE: cit,op,p٨٥ usman Muhammad

(٢) السعدي : تاريخ السودان ،ص٨، ٥٦ ، ٥٧.

ممن هم على مذهب الإمام مالك[١] وشهد ابن بطوطة العديد من مظاهر العلم والثقافة في بلاد السودان الغربي [٢].

وازدهر العلم في عهد الأساكي في دولة صُنغي وبخاصة في عهد أسكيا محمد الكبير الذي عمل على إعادة جميع العلماء الذين هربوا في عهد سني علي إلى تنبكت ، واستقدم علماء من بلاد المغرب والمشرق الإسلامي وشملهم بإكرامه ورعايته وعمّر المساجد ودور العلم . واشترى كثيرا من الكتب العلمية والثقافية ، واهتم بنشر العلوم والثقافة ، فازدهرت صُنغي ثقافيا في عهده ازدهارا . ويعتبر عهده وعهد خلفائه العصر الذهبي للعلم والعلماء ، وأزهى عصور انتشار الثقافة الإسلامية العربية في السودان الغربي، وخاصة في مدينة تنبكت، وبلغت الحركة العلمية أوجها إذ ضمت تنبكت في رحابها عددا من كبار علماء العصر ، وذاع صيتها بين مدن السودان الغربي ، فتوافد إليها طلاب العلم . وكان الأسكيا محمد محبا للعلماء والصالحين والطلبة ، كما كان كثير الصدقات ، وكانت بداية عهده ازدهار للحركة العلمية في دولة صُنغى الإسلامية [٣] . كما فعل من جاء بعده من الأساكي فاحترموا العلماء ، واسقطوا عنهم وظائف السلطنة وغراماتها .

على أن هذا الانتعاش والازدهار الذي شهدته دولة صُنغي ساعد على إخصاب الحياة الفكرية والثقافية عن طريق التعليم وتأليف الكتب مما أدى إلى امتلاء خزائن المدينة بكل ما كان معروفا من أمهات الكتب في مختلف فنون العلم فأدى

---

(١) السعدي : مصدر سابق ، ص ٥٧ ،العمري : مصدر سابق ، جـ٤، ص ٥٩،
usman Muhammad bugE: op,cit ,p٧٨.

(٢) ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص ٦٧٣.

(٣) محمد أنور توفيق : دولة سنغاي الإسلامية تطورها لاقتصادي والاجتماعي والحضاري ، رسالة ماجستير ، قسم التاريخ ، معهد البحوث والدراسات الافريقية جامعة القاهرة ، ١٩٧٧م، ص١٣٦، ١٣٧.

ذلك إلى إنشاء حلقات دراسية مختلفة أ.تلات بطلاب العلم يؤكد ذلك ما ذكره القاضي كعت من أنه كان يوجد في تنبكت في عهد أسكيا محمد الكبير مائة وخمسون مدرسة لتعليم الصبيان القرآن الكريم[1].

وقد ترتب علي هذا التشجيع ظهور العديد من فقهاء المالكية في تلك البلاد، وقد أهتم هؤلاء الفقهاء بالعلم وحرصوا علي التعليم والتعلم . ويعد الفقيه المعلم أحد العناصر الأساسية للعملية التعليمية بفضل التكوين الثقافي لهؤلاء الفقهاء، ذلك التكوين الذي مكنهم من القيام بدور تعليمي في مجتمعهم .

أولاً: التكوين العلمي والثقافي لفقهاء المالكية في السودان الغربي :

كان لفقهاء المالكية دور بارز في مجال التعليم ، فقد ظهر منهم فقهاء محدثون ولغويون بارزون في مجال التدريس . ونحن الآن بصدد الحديث عن أهم المنابع التي استقى منها هؤلاء الفقهاء دروسهم وكيف تشبعوا بهذه الثقافة التي أهلتهم بعد ذلك لان يصبحوا معلمين بارزين في هذا المجال .

وقد تعددت منابع التكوين العلمي والثقافي لفقهاء المالكية في السودان الغربي ، بعضها منابع تكوين داخلية متمثلة في المدن العلمية الكبيرة فيها و ما تحتويه هذه المدن من مساجد كبرى ساعدت على التلقين والتلقي. وبعضها الأخر منابع خارجية متمثلة في رحلات الحج والرحلة في طلب العلم . وهذان المنبعان كان لهم أكبر الأثر في التكوين العلمي والثقافي لهؤلاء الفقهاء ونبدأ الحديث بعرض مظاهر التكوين العلمي والثقافي لأبناء السودان الغربي بالحديث عن المنابع الداخلية .

انصب الاهتمام بالتعليم في دولة مالي الإسلامية علي حفظ القرآن الكريم من أجل فهمه، وقد ذكر لنا ابن بطوطة تشددهم في ذلك (١). ولذلك كان أهل السودان

---

(١) كعت : مصدر سابق ، ص ١٨٠.

الغربي يرتادون المساجد و الكتاتيب لحفظ القرآن الكريم(٢) وتعلم لغته،ولذلك اكتسبت اللغة العربية مسحة التقديس عند مسلمي السودان الغربي ، كما كانت هي اللغة الرسمية السائدة (٣). فضلا عن دراسة وتفسير القرآن الكريم كما كانت هناك مؤلفات علم الحديث اتى تدرسّ خاصة صحيحي البخاري ومسلم في حلقات العلم . كما كان عرفت مؤلفات الفقه المالكي ذيوعاً بين الفقهاء والطلبة ، وكان يتم تدريس كتاب موطأ مالك ، والمدونة " للإمام سحنون عبد السلام بن سعيد المتوفى عام (٢٤٠هـ/ ٨٥٤م) والرسالة لابن أبي زيد القيرواني المتوفى عام (٣٨٦هـ/ ٩٩٦م)، ومختصر خليل بن إسحاق المصري المتوفى عام (٧٧٦هـ/ ١٣٧٤)" (٤) ، والتهذيب للبراذعي ، والمنتقى في شرح الموطأ و جامع المعيار للونشريسي و المختصر للتفتازاني و المدخل لابن الحاج و وأصول السبكي في

---

(١) فقد سجل ابن بطوطة مشاهدته في تشددهم فيحفظ القرآن الكريم ومن هذا أنظر ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص ٦٧٢ ، ٦٧٣، كما ذكر لنا عدد من فقهاء وقضاة ومدرسين ومقرئين وطلبة وخطباء، مقيمين في مختلف مدن السودان.الغربي إلا أن تلك الأسماء لا تترجم في الواقع إلا جزئياً حقيقة وجود هؤلاء الفقهاء وأكثرهم من المغاربة وكثافة هذا الوجود أنظر كذلك ، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٧٥ ،

usman Muhammad bugE: op, cit ,p٦٤.

(٢) كان الكتاب من ضمن مراحل التعليم في السودان الغربي وكان الكتاب لحفظ القرآن الكريم ، ومعرفة قواعد اللغة العربية ، وفي مقابل ذلك كان أهل التلاميذ يدفعون للفقيه بما يسمى حق الأربعاء ، وكانت المرحلة الثانية في المساجد وكان الطالب يتحصل على مجموعه من الدروس الخاصة باللغة العربية ، وفي المرحلة الثالثة والنهائية يتعمق الطالب في العلوم الشرعية واللغوية علي يد العلماء المشهود لهم بالتمكين وتتوج بالحصول على الإجازة ، أنظر كعت : مصدر سابق ، ص ١٨٠، السعدي : مصدر سابق ، ٢١٧.

(٣) زاهر رياض : تاريخ غانة الحديث ، دار المعرفة ، ط١ ١٩٦١م، ١٣٩.

(٤) أحمد الشكري : الإسلام والمجتمع السوداني ، ص٢١٦.

cuoq j . "Histoire de l, I slamisationdeI, Afrique de I,oust : Des rigines a la fin du xvie siecle",geuthner,paris,١٩٨٥,p ١٢٥/١٢٦,

Levtzion N :op,cit,p٥٩

علم أصول الفقه و تحفة الحكام في الأحكام لابن عاصم و تلخيص المفتاح لمختصر السعد و شرح التتائي الكبير و مختصر ابن حاجب الأصلي و مختصر ابن حاجب الفرعي و المنهج المنتخب في قواعد المذهب للزقاق (١) ولم تقتصر الكتب التي كانت تدرس علي علوم الدين وعلوم اللغة العربية بل شملت الكتب التي كانت متاحة للدراسة مثل كتب السير والتاريخ وأيام الناس (٢).

ويذكر لنا ابن بطوطة أنه رأي عند فربا سليمان كتاب " المدهش في المحاضرات " للفقيه الإمام أبى الفرج عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي البغدادي المتوفى عام (٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)(٣).

وقد تم دعم التعليم الفقهي علي أساس المذهب المالكي في دولة مالي (٤) بفضل جهود بعض حكام تلك الدولة وخاصة منسا موسي الذي أحب العلم والعلماء ولذلك سعى إلى جلب الكتب على المذهب المالكي إلي بلاده ، يتضح ذلك أثناء فترة إقامته في القاهرة خلال رحله حجه إذ قام بشراء مجموعة من الكتب في الفقه المالكي(٥) . والراجح أن من أهم الكتب التي اشتراها كتاب الموطأ للأمام مالك بن أنس ، ومدونه الإمام سحنون بالإضافة إلى كتاب مختصر خليل.

---

(١) السعدي : تاريخ السودان ، ص٢٩، ٣٨- ٥٣ ، ٢١٨ ، البرتلي : فتح الشكور ، ص ٧٩

(٢) السيد أحمد السيد الباز : الحياة العلمية والثقافية في بلاد السودان الغربي في عهد دولتى مالي وُصنغي (٦٣٨-٩٩٩هـ/ ١٤٠-١٥٩١م) ، رسالى ماجستير من قسم التاريخ ، معهد البحوث والدراسات الافريقية ، جامعة القاهرة ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م ، ص ٦٤.

(٣) بطوطة : مصدر سابق ، ص ٦٧٦.

(٤) ESLlas . Alpha N . s : social history of timbuktu,the rle of muslim schlars and ntables ١٤٠٠-١٩٠٠, p١٢٦. levtzion N: op,cit,p ٧٧.

(٥) - المقريزي : مصدر سابق ، ص١٤٣ ، ابن بطوطة : مصدر سابق،ص ٦٧٦.

ELlAs N.:op,cit, ٨٧.

usman Muhammad bugE: op cit, ,pvv

كما التقى منسا موسى أيضا مع الفقيه المالكي محمد بن أحمد بن ثعلب المصري المدرس بالمدرسة المالكية وقاضي المذهب ، وكان هذا اللقاء قبل توجهه إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج ،وكان الحديث الذي دار بينهما فيما يبدو عن حاله المذهب المالكي في دولة مالي الإسلامية وكيفية دعم وتدريس هذا المذهب في هذه الدولة بنقل مؤلفات كبار علماء المالكية بعد شرحها لهذا المذهب لتدرس في حلقات العلم بمساجد مالي ، ولذا طلب منه منسا موسى أن يؤلف شرحا لمختصر أبي الحسن الطليطلي في الفقه المالكي[١] ، وبالفعل وافق ابن ثعلب على القيام بهذا الشرح والراجح أن هذا الشرح قد أخذه منسا موسى من ابن ثعلب بعد عودته من الحجاز إلى القاهرة بعد أن أدى الفريضة ثم أخذه معه في رحلة عودته إلى بلاده[٢].

وقد تعددت جهود منسا موسى لدعم التعليم الفقهي منها استقدام الفقهاء المعلمين إلى بلاده خاصة من بلاد المغرب وبلاد المشرق العربي ، فأقبل عليهم أهل مالي يتعلمون ويدرسون الفقه والسنة من ذلك قيامه باصطحاب العالم الفقيه عبد الرحمن التميمي[٣] الحجازي الذي سكن تنبكت ، ووجدها حافلة بالفقهاء السودانيين الذين تفوقوا عليه في الفقه المالكي[٤]، فرحل إلى مدينة فاس وتفقه هناك

---

(١) أبو الحسن الطليطلي : هو على بن عيسى بن عبيد التجيبى كان حيا خلال النصف الأول من القرن الرابع الهجري ، درس العلم في قرطبة وطليطلة وهو فقيه عالم له مختصر مشهور منتفع به من كبار المالكية في عصره ، أنظر القاضي عياض : ترتيب المدارك ، جـ٦، ص١٧٢،١٧١ .ابن فرحون: مصدر سابق ،ص٢٩٥،٢٩٤.

(٢) حسين مراد :المذهب المالكي في السودان الغربي ، ص٦٤.

(٣) السعدي : تاريخ السودان ، ص٥١ ، الاروانى : مصدر سابق ، ص٩٣ ،٩٤ .

ELlAs N:OP,CIT,P,١٣٥.

usman Muhammad bugE: cit,op ,pv٨. Miner Horace : op, cit , p٥.

(٤) الاروانى : مصدر سابق ، ص٩٤، كيف تفوقوا على عبد الرحمن التميمي ، وهو من قال عنه سيدي يحيى التادلسى أذا جاء فقهاء سنكرى للأخذ عنه فيقول لهم : " يا أهل سنكرى كفاكم سيدي عبد الرحمن التميمي " لذلك نحن نذهب مع الرأي الذي يرى أن عبد الرحمن التميمي يبدو وأنه كان

ثم عاد مرة أخرى إلى تنبكت فتوطن بها حتى وفاته بعد أن ترك أبناء وأحفاداً أسهموا في تدريس وتعليم المذهب المالكي ومنهم حفيده حبيب الذي عاش في أواخر دولة مالي[1].

وهكذا أسهم منسا موسى في تعليم المذهب المالكي في بلاده بفضل ما نقله من مؤلفات وشروح لكبار فقهاء المالكية حتى يمكن القول أن دولة مالي عرفت في عهده دخول كتب كبار فقهاء المالكية التى أقبل عليها طلاب العلم هناك.

ونظرا لتزايد الإقبال على التعليم في دولة مالي الإسلامية اعتبرت جميع مساجد المدن أمكنه للتدريس ، و كان من أشهر هذه المساجد في مدينة تنبكت الجامع الكبير و مسجد سنكري ، ومسجد سيدي يحيي التادلسي . ولم تكن تنبكت تضم هذه المساجد الثلاثة المشهورة فقط ، فقد ذكر لنا محمود كعت و السعدي عدد أخر من المساجد الصغيرة التي كان يتم التعليم فيها [2] .

وقد اعتمد التعليم في السودان الغربي وخاصة في دولة مالي علي فقهاء مغاربة في الأساس الأول ، وكان لهؤلاء الفقهاء المغاربة تلاميذ من أهل هذه البلاد [3] كما

شافعي المذهب ، ولهذا تفوق علية فقهاء تنبكت المالكيون ، فأضطر إلى أن يسافر ليأخذ عن فقهاء المالكية بالقيروان ، أنظر أحمد الشكرى : الإسلام والمجتمع السوداني ، مرجع سابق ، ص٢٢٥.

(١) الارواني : مصدر السابق ، ص ٩٤،٩٥

ELIAs N. s : op,cit,,pp ١١٢ .١٠٨و١٠٩و١١٠

(٢) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ١٢٢ ، السعدي : مصدر سابق ، ص ١١٠، ١١١.

(٣) Adam Ba konare : les relations politiques et culturelles enter le Maraco et le Mali a traverse les ages , ryaume du Maraoc ,university Mohammed v public tins de l, Institut des etudes ,Africaines ,Rabal , p, ١٢. Ella's N. saaD :op.cit,p١٤٥.

Hunwlck,J: les relations politiques et culturelles entire le marc et le Mali a travers les ages , ryaume du , Maraoc ,university Mohammed v public tins de l, Institut des etudes ,Africa ines ,Rabal ,p١١.

كان هناك بعض من فقهاء المالكية الذين يقومون بالتدريس من أهل السودان الغربي نفسه وكانوا قلة كما كان هؤلاء من ذوى سند مغربي بصفة مباشرة أو بصفة غير مباشرة عن طريق التتلمذ علي يد فقهاء من السودان الغربي ينتمون إلى المدرسة المغربية ويدرسون كتبا مغربية[١] .

ومن هؤلاء الفقهاء من السودان الغربي الذين قاموا بالتدريس بجانب الفقهاء المغاربة ومنهم الفقيه كاتب موسى وهو من الفقهاء الذين رحلوا إلي فاس لتعلم العلم في دولة مالي بأمر من السلطان منسا موسي [٢] .

وقد أسهمت الدور العلمية المتعددة في دولة صُنغي في التكوين العلمي للعديد من الأسر العلمية في كافة مجالات المعرفة ، ومن أشهر الأسر العلمية في دولة صنغي الإسلامية وخاصة في مدينة تنبكت أسرة أقيت وأسرة أندغ محمد وأسرة بغيغ.

ومن مصادر التكوين العلمي والثقافي لأسرة أقيت التراث العائلي حيث كان التعليم في عائلة أقيت مسألة عائلية[٣] فقد توارثوا العلم بعضهم عن بعض عن

---

(١) أهم الكتب التي انتشرت في السودان الغربي :"صغري السنوسي في التوحيد ، رجز المغيلي في المنطق ، شرح الخزراجية في العروض للشريف السبتي ، مدونة الامام سحنون ، رسالة القيرواني في الفقه ، جامع المعيار للونشريسي ، مختصر خليل ، أنظر أحمد بابا : نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، ص : ٦٠١ ، ٦٠٢، السعدي : مصدر سابق ، ص :٣٨، ٤٥ ،٤٩ ، ٢١٨ ، البرتلى : فتح الشكور في أعيان علماء التكرور ، ص : ٣٢ ، ١٣٩. ELIAs;,p٨٩ ELIAs,cit, op :

(٢)السعدي : مصدر سابق ، ص ٥٩.

ELIAs N. s. :Idil,p١٢٦.

(٣) Hunwlck ,J : les relations politiques et culturelles,p٢٢.

طريق أبائهم وأعمامهم وإخوتهم[١] . ومن مصادر التكوين العلمي والثقافي لهذه الأسرة حضورهم حلقات الدرس التي كانت تعقد في بلادهم ويعقدها فقهاء مغاربة كالتي أشارت لها كتب المصادر عندما أشارت إلى أن الفقيه عمر بن محمد أقيت المتوفى عام (٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م) أخذ تكوينه العلمي والثقافي في بداية الأمر على يد الفقيه محمد الكابري[٢]، واستكمل بقيه تعليمه عندما كان في مدينة ولاتة حيث كان بحضر حلقات العلم التي كان يعقدها العالم المغربي عبد الله بن أحمد الزمورى[٣] الذي أجازه[٤] في كتاب الشفا للقاضي عياض[٥].وكان لجدهم لامهم وخالهم دور في التعليم ، فقد أخذ الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت المتوفى عام (٩٤٢هـ / ١٥٣٥م)[٦] العلم عن طريق جده لامه الفقيه أندغ محمد[٧] الذي وصفه السعدي:" بأنه معدن العلم والفضل والصلاح"وأول من خدم العلم بهذه المدينة

---

(١) سوزى أباظة : عائلة أقيت وإسهاماتها الثقافية في تنبكت ، ص ١٤٨.

(٢) الارواني : السعادة الأبدية ، ص ٧٩، ٨٣.

(٣) هو العالم الفقيه المغربي عبد الله بن أحمد الزمورى ، كان شيخا فقيها له شرح على كتاب الشفاء سماه " إيضاح اللبس والخفاء عن ألفاظ الشفاء" ، وكان من رجال العلم المشهورين ، فقد وصل إلى بلاد والاتن المتصلة ببلاد السودان وأقرأ أهلها ، ولقي هناك فقهاء فأثنى عليهم في العلم ثم رجع ، وكان حيا في عام" ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م"، أنظر أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص٢٣٤، ٢٣٥.

(٤) الاجازة :" الإجازة في الأصل من مصطلحات المحدثين يعدونها في الدرجة الثالثة من أنواع الرواية ، ويأتي قبلها : السماع أي سماع لفظ الشيخ من حفظه أو كتابه ، والعرض أى قراءة الطالب على الشيخ وعرضه الحديث علية كما يعرض القرآن على المقرئ ، والإجازة عندهم : أن يقول المحدث لغيرة أجزت لك أن تروي عنى كتابي أو هذا الكتاب الذي حدثني به فلان ، ويبين سنده ، دون سماع ولا عرض ، أنظر محمد حجي : مرجع سابق ، ص١٠١.

(٥) الولاتى : مصدر سابق ، ص ١٧٧، سوزى أباظة : عائلة أقيت ، ص ١٤٩.

(٦)أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص ١٣٧، ١٣٨.

(٧) هو :"أبو عبد الله أندغ محمد بن محمد بن عمان بن محمد بن نوح " انظر، السعدي : مصدر سابق ، ص ٢٨.

من أجداد أحمد بابا[١] . كما أخذ العلم عن خاله الفقيه مختار النحوي المتوفى عام (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م)[٢] الذي أخذ العلم منه أيضا بقية أولاد أخته من آل أقيت ، وهم عبد الله ومحمود بن محمد أقيت وقام آل أندغ محمد بتوجيه أولاد أختهم إلى الدراسات الإسلامية ، وكانوا متمسكين بالدين ومتحمسين له ومثقفين وزاهدين ، وهى صفات جعلتهم يوفرون جوا من العلم والورع عاش فيه أولاد أختهم من آل أقيت .

وكان من علماء الفقه المالكي الفقيه أحمد بن سعيد (٩٣١-٩٧٦هـ / ١٥٢٤-١٥٦٨م). وهو حفيد الفقيه محمود بن عمر من جهة الأم تتلمذ على جده لامه محمود بن عمر أقيت ، وخاصة في دراسة الرسالة ومختصر خليل[٣] .

وقد أخذ الفقيه القاضي محمود بن عمر المتوفى عام (٩٥٥هـ/ ١٥٣٥م) العلم عن أخوه الفقيه القاضي أحمد بن عمر بن محمد أقيت المتوفى عام (٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م) الذي أخذه عنه أولاده الثلاثة ، وهم محمد بن محمود أقيت (٩٠٩-٩٧٣هـ / ١٥٠٣-١٥٦٥م)[٤]،والعاقب بن محمود (٩١٣-٩٩١هـ/ ١٥٠٧-١٥٨٣م) وعمر بن محمود المتوفى عام (١٠٠٣هـ / ١٥٩٤م)[٥] .

أما القاضي العاقب بن محمد بن عمر بن محمد أقيت المتوفى عام (٩٩١هـ / ١٥٨٤م) فقد كان تكوينه العلمي على يد أبيه وعمه[٦] ، كما كان التكوين العلمي

---

(١)المصدر السابق والصفحة .

(٢) المصدر السابق : ص ٢٧، ٢٨.

(٣) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ١٤٢، ١٤٣.

(٤) أحمد بابا : نيل الابتهاج : ص٣٤٠، السعدي : تاريخ السودان ، ص ٩١.

(٥) السعدي : مصدر سابق ، ص٣٤.

(٦) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص٣٥٣، ٣٥٤.

للفقيه محمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت المتوفى عام ٩٩١هـ/ ١٥٤٨م) على يد عمه محمود بن عمر بن محمد أقيت المتوفى عام (٩٥٥هـ/ ١٥٤٨م)[١] .

كما أسهم في التكوين العلمي للفقيه عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن الفقيه محمود بن عمر المتوفى عام (١٠٠٦هـ/ ١٥٩٧م) ابن عمه الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت[٢]

وقد بدأ الفقيه محمد بابا بن محمد الأمين بن حبيب ابن الفقيه مختار (٩٨١-١٠١٤هـ/ ١٥٧٣- ١٦٠٥م) حياته العلمية في تنبكت ، حيث تتلمذ على أيدي أعلام أفذاذ لهم دور كبير في تنشيط الحركة التعليمية بتنبكت أمثال محمد محمود بغيغ الونكري الذي لازمه وأخذ عنه علوم النحو والفقه وعلم الكلام حتى أتقنها وأجازه فيها إجازة علمية تنم عن ثقته به وتضلعه فيما أخذ عنه من علوم[٣] ، وهناك أيضا عبد الرحمن الفقيه محمود ، وأحمد بغيا ، ومحمد بن محمد كُريْ ، وسيدي بن عبد المولى الجلالي وغيرهم من أعلام تنبكت الذين أخذ عنهم محمد بابا علوما مختلفة في مجالات متعددة ، وقد أجازه معظم هؤلاء العلماء[٤] ، هذا وقد بلغ محمد بابا درجة عالية من التمكّن في العلوم وبخاصة اللغوية التي برز فيها ، بمؤسسات تنبكت العلمية ، وأصبحت له شهرة كبيرة في هذا المجال

أما أحمد بابا التنبكتي (١٠٣٦هـ/ ١٦٢٦م) فقد تعددت مصادر تكوينه العلمي والثقافي ، إذ أخذ تعليمه الأول على يد والده الحاج أحمد بن أحمد بن عمر بن

---

(١)المصدر السابق ، ص ، الاروانى : مصدر سابق ، ص ،

(٢) الولاتى : مصدر سابق ، ص ١٧٥ .

(٣)السعدي : تاريخ السودان ، ص ٥٤.

ELIAs N .:op,cit,pv٠.

(٤) السعدي : مصدر سابق، ص ٢١٧ ، ٢١٨ ، البرتلى : فتح الشكور ، ص ٢٧ ، ٢٨.

محمد أقيت (٩٢٩-٩٩١هـ/ ١٥٢٢-١٥٨٣م) الذي قال عنه: " وحضرت أنا عليه أشياء عدة ، وأجازني جميع ما يجوز له وعنه ، كتب لي بخطه ، وسمعت بقراءته الصحيحين والموطأ ، والشفاء "[١] ، ثم استكمل تعليمه على يد عمه الفقيه أبى بكر بن أقيت[٢]،ثم حضر دروس الشيخ أحمد بن سعيد(٩٣١-٩٧٦هـ/ ١٥٢٤-١٥٦٨م) سبط الفقيه محمود بن عمر الذي تم تكوينه العلمي على يد جده لامه محمود بن عمر أقيت فقد أخذ عنه الرسالة ومختصر خليل[٣] ، ثم أكمل أحمد بابا تكوينه العلمي على يد أستاذه الفقيه محمد بن محمود بن أبى بكر المعروف بغيغ(٩٣٣-١٠٠٢هـ/ ١٥٨٥-١٥٩٣م)[٤].

وكذلك أتاحت لهؤلاء العلماء الرحلة العلمية إلى الشرق وأداء فريضة الحج رافداً أخر لزيادة تكوينهم العلمي والثقافي ، ففي هذه الرحلات كانت تتاح لهم فرصة مقابلة فقهاء المذهب المالكي وكذلك حضور دروسهم وكانوا يمنحونهم إجازات علمية تؤهلهم للتدريس والرواية عنهم ساعد على ذلك طول مدة الرحلة .

ويتضح هذا حين خرج أحمد بن عمر بن محمد أقيت المتوفى عام (٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م) لأداء فريضة الحج في عام(٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م) فقد لقي بعض أعلام الفكر في مصر وعلى رأسهم أولئك الإمام جلال الدين السيوطي وخالد الأزهري (الوقاد)[٥]. كما كان هو الحال مع الفقيه أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد

---

(١) أحمد بابا مصدر سابق ، ص ١٤٢.

(٢)المصدر السابق ، ص ١٥١.

٥-المصدر السابق ، ص ١٤٣، السعدي : مصدر سابق ، ص ٤٣.

(٤) أحمد بابا: مصدر سابق ، ص ٦٠٢.

(٥) خالد الازهرى هو : " خالد بن عبد الله بن أبى بكر الجرجانى المتوفى عام " ٩٠٥هـ/ ١٤٩٨م" وهو من علماء النحو ، للمزيد أنظر السخاوى : الضوء اللامع لاهل القرن التاسع ، ضبطه وصححه عبد اللطيف حسن عبد الرحمن ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، ط١، ٢٠٠٣م ، جـ٣، ص ١٥٣ ، ١٥٤.

أقيت المتوفى عام (٩٩١هـ/ ١٥٨٤م) الذي أجازه بعض فقهاء المالكية أثناء إقامته في مصر في رحلة حجه ، وقد لقي جماعة منهم ناصر اللقاني المتوفى عام (٩٥٨هـ/ ١٥٥١م)[١] والشريف يوسف الارميوني تلميذ السيوطي ، وجمال الدين بن الشيخ زكريا والشيخ التاجوري والاجهوري وأجازه بعضهم[٢] في مكة المكرمة منهم الإمام العالم أبو اليمن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن المصري مولدا المكي منزلا عام(٩٥٦هـ/ ١٥٤٩م) .[٣] كذلك التقى أحمد بن أحمد أقيت أثناء قيامه برحلة الحج بالعالم بركات الحطاب[٤] وعبد المعطى السخاوى[٥] وعَبد السلام الأسمر الزليطنى المتوفى عام (٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م)[٦] و إجازه بعضهم[٧] .

---

(١) ناصر اللقانى (٨٧٣ـ٩٥٨هـ/ ١٤٦٨ـ١٥٥١م) من أشهر رجال العلم والفتيا في مصر ، جلس لإقراء العلوم المختلفة وقد قرأ الفقه في نحو ستين سنة ، كما كان يستفتى من جميع الأقاليم ، وكانت له مؤلفات عديدة منها ما كتبة على نسخة التوضيح وتقييد على المحلى شارح السبكى ، وله شرح على خطبة المختصر ، أنظر : أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ٥٩٠ ، ٥٨٩١.

(٢) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ١٤١ ، ١٤٢ . ELIAs N .sAAd:op,cit,p ٦٩.

(٣) حسن الصادقى : جوانب عن التواصل الثقافي شمال جنوب ، بحث ضمن أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية جانبي الصحراء ، كلية الدعوة الإسلامية طرابلس ، ط١٩٩٩،١م، ٢٦٨.

(٤) هو : " بركات بن محمد بن عبد الرحمن الحطاب المكي ، المتوفى بعد عام "٩٨٠هـ/ ١٥٧٢م" في سن كبيرة ، ومن مؤلفاته : شرح على خليل ، أنظر محمد مخلوف : شجرة النور الزكية ، ص٢٧٩.

(٥) هو : " أبو محمد عبد المعطى بن أحمد بن محمد السخاوى المدني المتوفى عام " ٩٦٠هـ/ ١٥٥٢م" ، من بيت علم وفضل ، له تأليف منها تفسير القرآن الكريم ، وتاريخ المدينة وشرح الشامل ، للمزيد أنظر : المصدر السابق ، ص ٢٧٢.

(٦) هو :" عبد السلام الأسمر الفيتورى بن سليم بن محمد بن حميد بن عمران بن محى بن سليمان السعيدى المغربي المخزومى القرشى المتوفى عام "٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م" كان من أكابر الاولياء وكان من أجل مشايخ الطريقة العروسية، تعلم وقرأ العلوم على يد الشيخ عبد الرحمن الوسلاتى والشيخ زروق ، ثم توجه إلى الشيخ الدكالى وأخذ عنه التصوف والطريقة العروسية ، أنظر أحمد النائب الانصارى : المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، منشورات مكتبة الفرجانى ، طرابلس ، ليبيا ، جـ١ ، ص ٢٢١ ، ٢٢٣.

(٧) البرمونى كريم الدين : مناقب الشيخ عبد السلام الأسمر الفيتورى ، مخطوط ، مركز جهاد الليبين

كما تذكر لنا كتب المصادر الفقيه محمود أقيت(٨٦٨ـ٩٥٥هـ / ١٤٦٣ـ١٥٤٨م) الذي قام برحلة حج عام (٩١٥هـ/ ١٥٠٩م) ، ولقي في رحلة حجه جماعة من مشاهير علماء المشرق ، أمثال إبراهيم المقدسي والشيخ زكريا والقلقشندى ، واللقانيين الذين يعدان من أعلام المالكية في مصر وغيرهم من علماء مصر[١] .

أما الفقيه بغيغ (٩٣٠ـ١٠٠٢هـ/ ١٥٢٣ـ ١٥٩٣م)[٢] وكان قد بدأ دراسته في موطنه على يد الفقيه أحمد بن أحمد والد الفقيه أحمد بابا ، وزاد من تكوينه العلمي والثقافي أثناء رحلة حجه مع أخيه وخاله ، حيث لقوا في طريقهم إلى الحجاز بعض أعلام المذهب المالكي أمثال الناصر اللقانى و التاجورى والشريف يوسف الارميونى والإمام محمد البكري وغيرهم[٣]

وهكذا كانوا هؤلاء الفقهاء هم أبرز طلاب الفقه المالكي في مدينة تنبكت ، حيث كان تكوينهم العلمي والثقافي لا يقل عن المستوى الذي كان سائدا في معاهد التعليم الإسلامي المنتشرة في العالم الإسلامي آنذاك وذلك بفضل توافدهم علي مصر والحجاز في أثناء رحلة حجهم .

كما عرفت مدينة جني العديد من فقهاء المالكية فيذكر لنا السعدي عددا ضخما من الفقهاء الذين كانوا في هذه المدينة عندما أسلم ملكها كنبر[٤] ولكنه لم

للدراسات التاريخية ، طرابلس ، رقم ٨٢١.

(١) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص٦٠٧ ، ٦٠٨، السعدي : مصدر سابق ، ص ٣٨ ، ٣٩.

(٢)أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ٦٠٠.السعدي : مصدر سابق ، ص ٤٣.

(٣)٠-المصدر سابق ، ص ٤٥ ، ٤٦. .ELIAs N .sA- l: op,cit,p٦٩

(٤) يذكر السعدي أنه عندما أسلم سلطان جني كان بها ٤٢٠٠ عالما، وقد يظن أن في العدد مبالغة ولكن قوله -السعدي- ليس بغريب إذ إن جني بها سبعة آلاف وسبع وسبعون قرية متلاصقة، وعليه ففي كل قريتين عالم واحد وهذا أمر محتمل نفس المصدر : ص ١٤٢.

يسجل لنا بعض أسماء هؤلاء الفقهاء ولعل السبب في ذلك هو الفارق الزمني بين عصره وعصر هؤلاء الفقهاء ، لأنه عاش في القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي ، وعاش هؤلاء قبله بحوالي خمسة قرون أما عندما أصبح الزمن قريبا من زمنه قدم لنا كثيرا من المعلومات وأسماء العلماء الذين كانوا في مدينة جني منذ منتصف القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي . والذين وكما يتضح من خلال كتب التراجم أنهم نهلوا العلم والفقه في موطنهم في بلاد السودان الغربي .

من هؤلاء الفقيه مورمغ كنكى[١] وهو من الفقهاء الوافدين على جني من كابرا وهى من المناطق المجاورة لها بعد أن تلقى تعليمه فيها ، وكان ذلك في منتصف القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي[٢] .وكذلك الفقيه محمد سانوا الونكرى[٣]، وكان فقيها وعابدا صالحا ، قدم إلى مدينة جني في أواخر القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي من قرية تسمى طورا بالقرب من جني وكان تعليمه بها[٤] . كما كان الفقيه محمود بغيغ والد العالمين الفقيه محمد بغيغ والفقيه أحمد بغيغ والذي جاء من ونكرى بعد أن تلقى تعليمه بها ، ثم جاء إلى مدينة جني وتولى القضاء بها عام (٩٥٩هـ/ ١٥٥١م)[٥] .

وقد أغنى هؤلاء الفقهاء الذين ذكرناهم الحياة العلمية في دولتي مالي وصُنغى و سمح هذا التكوين العلمي والثقافي لفقهاء المالكية في السودان الغربي القيام بدور هام في المجال التعليمي في تلك البلاد .

---

(١) السعدي : مصدر سابق ، ص ١٢.

(٢) المصدر السابق ، ٨٤.

(٣) نسبة إلى ونكر في منطقة وانغارا ، السعدي : مصدر سابق ، ص ١٦.

(٤) المصدر السابق والصفحة .

(٥) المصدر السابق ، ص ١٩.

٢ ـ الدور التعليمي لفقهاء المالكية :

كان لفقهاء المالكية أثر واضح في التعليم والتدريس ، فقد قاموا بتدريس عدد من العلوم المختلفة سواء كانت العلوم الشرعية (١) أو علوم اللغة العربية وقد ظهر عدد كبير من هؤلاء الفقهاء المعلمين الذين ذاعت شهرتهم في دولتي مالي وصُنغى وخاصة في مدينة تنبكت أو خارجها . وكان لهؤلاء الفقهاء دور كبير في مراحل التعليم المختلفة ،وكانوا في ذلك يعتمدون أساسا على أمهات الكتب والشروح . كما كان على الواحد منهم أن يحيط بكل جزئيات الموضوع الذي يقوم بدراسته وفقا للأسلوب التعليمي المتبع في كل مرحلة من مراحل التعليم(٢) .

ففي مالي وبخاصة في عهد منسا موسى الذي يعد عهده فتحا مبينا في مجال العلم والتعليم في تنبكت إذ شهدت دولته نشاطا علميا ، وازدهرت الثقافة الإسلامية واللغة العربية في عهده وخاصة بعد رجوعه من أداء فريضة الحج عام(٧٢٤هـ / ١٣٢٤ م)(٣) فقد قام بشراء الكثير من أمهات الكتب الفقهية والعلمية المتنوعة في الحجاز والقاهرة والتي أصبحت تدرس في أنحاء دولته وذلك ليمكّن الحركة العلمية والثقافة العربية الإسلامية من تحقيق أهدافها .

كما كان منسا سليمان مهتماً كذلك بالحركة العلمية وعمل علي ازدهارها وشهد علي ذلك ابن بطوطة الذي زار بلاد السودان الغربي عام٧٥٢هـ / ١٣٥٢م والتقي بعدد من فقهاء المالكية ولكنه لم يذكر لنا من عمل منهم في مجال التعليم ولكنه ذكر مدي

---

(١) وتتمثل في التفسير والقراءات ، والحديث وعلومه ، والفقه ، والسيرة النبوية .

(٢) محمد الغربي : مرجع سابق ، ص ٥٤٩.

ELIAs N: op,cit,pvv.

(٣) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ٣٣، السعدي : مصدر سابق ٦، ٧ ،أبوبكر إسماعيل ميقا: تاريخ الثقافة الإسلامية والتعليم في السودان الغربي ، مجلة الدارة ، العدد الثاني ، ١٤١٤ هـ،الرياض ، ص ٢٢٧، ٢٢٨.

اهتمام أهل السودان الغربي بالتعليم وبخاصة القرآن الكريم لأنه أساس التعليم الاسلامي .

وعلي أية حال ليس لدينا معلومات حول الدور التعليمي لفقهاء المالكية السودانيين في زمن دولة مالي ، والراجح إن التعليم في هذه الفترة اعتمد علي الفقهاء المغاربة المقيمين في مدن تلك البلاد .

أما في دولة صُنغي فقد ذكرت لنا كتب المصادر عدد كبير من فقهاء المالكية الذين كان لهم دور كبير في مجال التعليم وخاصة في مجال العلوم الشرعية .من بين هؤلاء الفقهاء الذين قاموا بدور في تعليم طلاب السودان الغربي العلوم الشرعية وبخاصة الفقه المالكي الفقيه القاضي محمود بن عمر (٨٦٨ـ٩٥٥هـ / ١٤٦٣ـ١٥٤٨م) قاضي تنبكت الذي اشتهر بنشاطه العلمي وكثرة طلابه ومنهم أولاده الثلاثة الذين تولوا منصب القضاء منهم ابنه محمد والذي كان يدرس البيان والمنطق[١] . وكان القاضي محمود يقرئ المدونة والرسالة ومختصر خليل[٢] ، وهو الذي أدخل ونشر كتاب (مختصر خليل) في الفقه المالكي على نطاق واسع في تنبكت وغيرها من مدن السودان الغربي[٣] . وعلى أيدي هذا الفقيه تخرج العديد من العلماء المشاهير منهم الفقيه محمد بن محمود بغيغ ، والفقيه أحمد بن محمد والد أحمد بابا التنبكتي ، والفقيه أحمد بن سعيد[٤] الذي تميز هذا الفقيه بتدريس العلوم الدينية ، كالتفسير بالإضافة إلي الفقه على المذهب المالكي[٥] .

---

(١) المرجع السابق : ص ٤٠ .

(٢) محمود كعت : تاريخ الفتاش ، ص١٣١ .

(٣) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ٦٠٧، ٦٠٨ .

(٤) المصدر سابق ، ص ١٤٢، ١٤٣ .

(٥) محمود كعت : مصدر سابق، ص ٥٢ ، أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص : ٦٠٧ ، ٦٠٨ .

كما اشتهر الفقيه مؤدب محمد الكابري بكثرة الطلاب الوافدين إليه من المناطق المجاورة لتنبكت ، وبخاصة من كابرا (ميناء تنبكت الذي يقع على نهر النيجر) موطن هذا العالم "الكابري" ، هذا ويذكر بأن جماعات من بلاد المغرب درست على هذا الفقيه في مسجد سنكرى[١] .

كما كان الحاج أحمد بن عمر المتوفى عام (٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م) يداوم على قراءة الشفا للقاضي عياض ويقوم بتدريس مدونة الإمام سحنون[٢]. كما اشتهر الفقيه أحمد بن سعيد سبط محمود بن عمر (٩٣١-٩٧٦هـ/ ١٥٢٤-١٥٦٨م) بأنه كان عالما بالفقه ، فكان يقرأ في دروسه كتاب الموطأ والمدونة وكذلك مختصر خليل وغيرها من الكتب الفقهية[٣] .

ومن الفقهاء المتخصصين في مجال العلوم الشرعية الفقيه أبو زيد عبد الرحمن بن محمود التنبكتي الذي اشتهر بكثرة من عنده من الطلبة ، كما عرف بقوة مستواه العلمي في العلوم الدينية ، و بخاصة الفقه الذي تضلع فيه ، مما أدّى إلى احتشاد الناس حوله للاستماع إليه والأخذ عنه[٤] .

أما الفقيه مسر بوب الزغرانى الذي كان من أصدقاء الفقيه محمود بن عمر أقيت فقد اشتهر بالعلم والفضل والخير والصلاح على الرغم من أنه ينحدر من قبيلة زغران التي يصفها السعدي " بأنها لا تعرف بالصلاح ولا بحسن الإسلام "[٥] ، وكان هذا الفقية من أهل الثقة العلمية عند أسرة أقيت ، والدليل على ذلك أن الفقيه

---

(١) السعدي : تاريخ السودان ، ص ٢٧ ، ٤٧ ، ٤٨.

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٧.

(٣)المصدر السابق : ص ١٤٢، ١٤٣.

(٤) محمود كعت : تاريخ الفتاش ، ص ١٣١ .

(٥) المصدر السابق : ص ٥١.

عبد الرحمن بن الفقيه محمود بن عمر أقيت تتلمذ عليه في أول الأمر حتى أنه أصبح يحترم كل زغرانى[١].

وكان الفقيه عبد الرحمن بن عمر بن أحمد من الفقهاء المتخصصين في تدريس كتاب التهذيب في الفقه المالكي للبرادعى[٢]، كما كان الحاج أحمد بن عمر المتوفى عام (٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م) يداوم علي قراءة الشفا للقاضي عياض وكذلك على تدريس كتاب مدونة الإمام سحنون في الفقه المالكي[٣].

وكذلك كان الفقيه أبو العباس أحمد برى بن أحمد بن أندغ محمد والذي تخرج على يديه جماعة كثيرة من شيوخ العلم المتأخرين من أهل سنكرى[٤]، وكذلك كان أبو عبد الله محمد بن أندغ محمد بن الفقيه مختار النحوي الذي كان مثل والده مادحا لرسول الله ﷺ وكان من الفقهاء الذين تخصصوا في سرد كتاب الشفا في مسجد سنكرى حتى وفاته[٥].

وقد برع الفقيه أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت (٩٢٩-٩٩١هـ/ ١٥٢٢-١٥٨٣م) في الأدب والفقه والحديث، وكانت عادته أن يجلس في المسجد لتدريس صحيح البخاري في رجب وشعبان ورمضان، واستمر على هذه العادة لمدة خمس وعشرين سنة. وعندما مات كان يدرس صحيح مسلم. وكان شيخا لكثير من فقهاء تنبكت البارزين، ومنهم أحمد ومحمد بغيغ وعبد الله وعبد الرحمن بن محمود أقيت وابنه أحمد بابا[٦].

---

(١) المصدر السابق: ص ٥٢، ELIAs N .sAAd:op,cit,p٨٥.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٦، ٥٩.

(٣) السعدي: مصدر سابق، ص ٣٧.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٩.

(٥) المصدر السابق والصفحة.

(٦) المصدر السابق: ص ١٤٢.

كما كان الفقيه القاضي عمر بن محمود بن عمر بن محمد أقيت المتوفى عام (١٠٠٣هـ/ ١٥٩٤م) من الفقهاء الذين برعوا في علم الحديث والسير والتاريخ وأيام الناس وبلغ الغاية القصوى في الفقه[١] حتى قال عنه بعض من عاصروه من الشيوخ : " إنه لو كان موجودا زمن ابن عبد السلام بتونس لا ستحق أن يكون مفتيا فيها "[٢] . وهذا دليل على علو كعب فقهاء المالكية في السودان الغربي حيث كانوا لا يقلون في مستواهم الفكري عن فقهاء المغرب .

واجتهد الفقيه أحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت (٩٦٢-١٠٣٦هـ / ١٥٥٥- ١٦٢٧م) في بداية أمره في خدمة العلم حتى فاق جميع معاصريه، وكان لا يناظره في العلم إلا أشياخه الذين شهدوا له بالعلم[٣] وقد استفاد طلبة وعلماء المغرب من فترة وجوده بينهم عندما جاء أسيراً إلى مراكش في المحنة المشهورة ، فقد جلس بجامع الشرفاء بمراكش للتدريس ، وازدحم عليه الخلق وأعيان الطلبة بل تتلمذ عليه قضاة مراكش[٤] .

وقد ظهر في بلاد السودان الغربي أيضاً عدد من الفقهاء الذين تخصصوا في تدريس علوم اللغة العربية ، نذكر منهم الفقيه المختار النحوي المتوفى حوالي عام (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م) والذي أشتهر بلقب النحوي لتضلعه في هذا الفن بجانب علمه بكل فن من فنون العلوم الإسلامية[٥] .

---

(١) - السعدي : مصدر سابق ، ص ٣٤.

(٢) المصدر السابق والصفحة .

(٣) Hunwick,J: le relations politiques et culturelles entre le Marco et le Mali atravers les ages ,p٣٠.

(٤) محمد مخلوف : شجرة النور ، ص ٢٩٨.

(٥) السعدي : مصدر سابق ، ص ٢٨.

وكان للفقيه عبد الله بن عمر بن محمد أقيت(٨٦٦ـ ٩٢٩هـ/ ١٤٦١ـ١٥٢٢م) دور تعليمي واضح خاصة أن كان ضليعا في النحو والفقه واللغة وكان يقوم بتدريسهم في مدينة تنبكت ومدينة ولاته[١] .

كما كان الفقيه أحمد بن عمر المتوفى (٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م) هو جد أحمد بابا وعرف بالحاج أحمد مشهوراً في علوم اللغة العربية وآدابها ، وقد أشتغل بالعلم والتدريس طوال حياته.وعن علمه يقول حفيده أحمد بابا "... أنه كان فقيها لغويا نحويا عروضيا محصلا بارعا حافظا معتنيا بتحصيل العلم ونسخ كتبه و كتب بخطه عدة دواوين كثيرة ..."[٢] .

كما كان الفقيه محمد بابا التنبكتي(٩٨١ـ١٠١٤هـ/ ١٥٧٣ـ ١٦٠٥م) من الفقهاء المتضلعين في علوم اللغة العربية وله نصيب كبير فيها . يقول عنه عبد الرحمن السعدي : "كان مشاركا في الفنون ، وله فيها محاولة جيدة ... برع في الدين ودرس وألّف "[٣] . ويقول عنه في موضع آخر أنه : "... كان مجتهدا صاحب تخصصات متعددة نحوي تصريفي لغوي.. وكان من علماء تنبكت البارزين..."[٤].

كما ظهر عدد من فقهاء المالكية الذين تخصصوا في تدريس أكثر من علم من علوم الشريعة وعلوم اللغة العربية فنجد الفقيه العالم الموسوعي أبا حفص عمر بن الحاج أحمد المتوفى عام (٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م) الذي كان عالماً نحوياً بجانب اشتغاله بعلم الفقه وهو عالم نحوى من الفقهاء الذين كانوا يسردون كتاب الشفا في رمضان

---

(١) المصدر سابق ، ص ٣٧.

(٢) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص١٣٧ .

(٣) السعدي : مصدر سابق ، ص ٢١٧ ، البرتلي : مصدر سابق ، ص ٢٧.

(٤) البرتلي ، ص : ٥٥ ، ٥٦ .

، وهو من الفقهاء الذين عم نفعهم لأنه دخل كانو وغيرها من المراكز الثقافية وقام بمهمة التدريس في معاهدها[١].

كما قام بالتدريس أبو بكر بن عمر بن أحمد بن محمد أقيت التنبكتي (٩٣٢-٩٩١هـ/ ١٥٢٥-١٥٨٣م)الذي كان أحد أشهر من قام بالتدريس في مدينة تنبكت ، خاصة في مجال العلوم اللغوية (النحو والصرف والعروض) . وكان أبو بكر بن عمر بن أقيت تعلم في تنبكت وتخرج من مؤسساتها التعليمية ، مما يعكس لنا بجلاء واضح مدى ما وصل إليه مستوى التعليم الإسلامي في تنبكت ، وتخرج على يد هذا الفقيه العديد من الفقهاء الأفذاذ أشهرهم العلامة أحمد بابا التنبكتي[٢]. كما كان ينفق على تلاميذه المحتاجين لاسيما الأيتام[٣].

ومن الفقهاء الموسوعيين الفقيه محمد بغيغ (٩٢٠-١٠٠٢هـ/ ١٥٢٣-١٥٩٣م) وهو من أشهر شيوخ أحمد بابا وتلميذ لوالده ، وكان الفقيه محمد بغيغ من العلماء المتعددي التخصص ، والعاملين الناصحين للناس بمحبة العلم وملازمة التعليم كل العمر ، ويبذل الكتب النفيسة لمن يرغب فيها دون السؤال عن إرجاعها له ودون التحقق من شخصية المستعير. وكان أيضا مثار عجب معاصريه في الصبر على إيصال الفائدة للبليد من التلاميذ بلا كلل أو ملل أو ضجر ، ويدل برنامجه الدراسي اليومي ، والكتب التي درسها أحمد بابا على يديه تدل على طاقة فائقة في حقل التعليم "[٤] . كما قام بتدريس أكثر من علم الفقيه أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت(٩٢٩-٩٩١هـ/ ١٥٢٢-١٥٨٣م)الذي برع في الأدب والفقه والحديث[٥].

---

(١) السعدي : مصدر سابق ، ص ٣٧.

(٢) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ١٥١ .

(٣) السعدي : مصدر سابق ، ص ٣٢، أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ١٣٨ .

(٤) المصدر سابق ، ص ٦٠١.

(٥) نفس المصدر : ص ١٤٢.

ومن هؤلاء الفقهاء الموسوعيين النابغين الفقيه أحمد بن أندغ محمد بن محمود بن الفقيه أندغ محمد الكبير والذي كان من أذكياء العلماء ، وله معرفة بفنون شتى من المعارف الإسلامية العربية ، منها معرفته بالفقه والنحو والشعر وغيرها من الفنون[١].

كما قام فقهاء المالكية بالتدريس في مدينة جني منهم الفقيه مورمغ كنكى الذي جاء في منتصف القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي ، وهو من العلماء الفقهاء ، وفور حلوله بهذه المدينة تقاطر عليه الطلبة للإفادة منه[٢] وكان نشطا في أداء رسالة العلم ، يخرج من داره في منتصف الليل إلى مكان إلقاء دروسه في المسجد الجامع بجني ، ويجلس الطلبة حوله يتلقون الدروس حتى إقامة صلاة الصبح ، ثم يعودون إليه بعد الصلاة فيستمر معهم إلى وقت الزوال ، ثم يعود إلى داره لأخذ قسط من الراحة ليعود لحلقة الدروس بعد صلاة الظهر ، ويجلس إلى طلبته حتى صلاة العصر وكان مواظبا على هذه الحال في المسجد الجامع[٣] .

وبالإضافة إلي مساجد العلم هذه كانت بيوتات هؤلاء الفقهاء العلماء تشكل مكانا مهما لتلقي العلم أيضاً ، حيث خصص بعض العلماء أوقاتاً خاصة لطلابهم الذين يجتمعون عندهم للدراسة . ولذلك عُدت دور العلماء من المؤسسات العلمية التي أسهمت في تنشيط الحركة العلمية ، وتثقيف أهل العلم وطلابه فحظيت تلك الدور بذلك باحترام وتقدير طلاب العلم خاصة أنها قامت بدور هام في نشر العلم وتيسير سبله لطلابه [٤] .

---

(١) محمود كعت : مصدر سابق ، ص٣٠.

(٢) المصدر السابق : ص ١٦.

(٣) المصدر السابق : والصفحة .

(٤) السعدي : مصدر سابق ، ص ٤٥.

وهكذا كان دور هؤلاء الفقهاء الذين كرسوا حياتهم في التعليم وتربية الأجيال دون كلل أو ملل ، كما كان لهؤلاء الفقهاء مكتبات علمية أسهمت في دعم دورهم التعليمي في بلاد السودان الغربي .

المكتبات العلمية لفقهاء المالكية بالسودان الغربي :

كان الكتاب في العالم الإسلامي شعلة وضاءة ونبراسا من نور ، اعتمد عليها العلماء والطلبة في كل مكان لتلبية رغباتهم العلمية . ومع انتشار الإسلام واللغة العربية في أرجاء السودان الغربي ، وأصبحت حاجة طلاب العلم إلى الكتاب أكثر إلحاحا من أية فترة أخرى . ولتلبية هذه الحاجة الماسة كان من الضروري توفير الكتب التي هي عماد الثقافة والمعرفة ، والتي كثر توافرها وترتب على كثرة الكتب ضرورة وجود مستودعات لها ، وهي المكتبات . ويشير بول مارتي إلى كثرة الكتب في تنبكت في قوله : " مع أن الطباعة لم تصل إلى تنبكت بعد إلا أن الكتب لم تنقص ، لأن تجار بلاد المغرب كانوا ينقلون المخطوطات إلى السودان ، و كانت تباع أكثر من أية بضاعة أخرى"[1] . فاعتنى علماء ومثقفو السودان الغربي وحكامها باستنساخ المخطوطات بأيديهم ، وإنشاء خزائن ومكتبات خاصة امتلأت بكل أنواع المخطوطات المجلوبة من بلاد المغرب والمشرق ، و قامت بدور كبير في تفعيل الحركة العلمية وتسهيل البحث والتحصيل العلمي للطلبة .

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد ذلك الدور الكبير الذي قام به السلطان منسا موسى الذي انتهز فرصة وجوده في كل من القاهرة والأراضي المقدسة،لاقتناء الكتب القيمة ، وتوفيرها لأهل مملكته[2] وسار علي نهجه منسا سليمان .

---

(١) paul marty: et e sur L,islam au soudan op,cit,,p٨٧. ELIAs N. s : op,cit,,p١٢٦

(٢) المقريزي : مصدر سابق ، ص١٤٣ ، ابن بطوطة : مصدر سابق ،ص ٦٧٦. ELIAs N.: op,cit,, ٨٧.

ثم تبعه في ذلك مؤسس أسرة الأساكي في صُنغي أسكيا الحاج محمد الذي يذكر بأنه أهدى مكتبة علمية متكاملة للجامع الكبير في تنبكت[١]. وسار على نهجه أسكيا داوود الذي يعد أول منشئ للمكتبات العلمية العامة ، وإلى ذلك يشير محمود كعت قائلا : "... وهو أول من اتخذ خزائن الكتب ، وله نساخ ينسخون له كتبا ، وربما يهادي بها العلماء "[٢] . وهكذا اهتم مجتمع السودان الغربي بمختلف طبقاته باقتناء الكتب والمخطوطات والعمل على نسخها بدقة وبخاصة النادرة منها لدرجة أن أصبح للوراقين والنساخ مكانة مرموقة ومتميزة في وسط مجتمع السودان الغربي .

ومن أهم مكتبات السودان الغربي في عهد ازدهارها العلمي تلك المكتبات الخاصة التي اقتناها العلماء والحكام وبعض الأثرياء في بيوتهم ، وبخاصة لدى الأسر المعروفة بالعلم والثقافة ، إذ لا نكاد نجد عالما إلا وله مكتبته الخاصة قلّ محتواها أم كثر يفتخر بما تتضمنه من أمهات الكتب. فقد اقتنوا معظم هذه الكتب من التجار الذين كانوا يحرصون على الاتجار في هذه السلعة ، ففي مدينة تنبكت كانت تباع الكثير من الكتب المخطوطة التي تأتى من مصر والمغرب عن طريق القوافل التجارية ، فكانت تأتي الكتب والمؤلفات المغربية والمشرقية[٣] ، ومما كان يجلبه الحجاج من المشرق ، كما كانوا يحصلون على الكتب من الأساكى كهدايا ، فقد كان أسكيا داوود(٩١٣-٩٩١هـ/ ١٥٤٩-١٥٨٢م) هو أول من أتخذ خزائن الكتب ،وكان له ناسخون ينسخون له الكتب التي كان يهادى بها العلماء[٤] والراجح أن

---

(١) السعدي : مصدر سابق ، ص ٥٧ ، ٥٦ ، سيسيكو : تاريخ إفريقيا العام ، المجلد الرابع ، ص : ١٦٣ ، عبد القادر زيادية : مملكة سنغاي في عهد الأسقيين ، ص : ٢٣

(٢) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ٩٤.

(٣) حسن الوزان : مصدر سابق ، ص ٥٤١، سوزى أباظة ، مرجع سابق ، ص ١٥٥.

(٤) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ٩٤.

قسما كبيرا من هذه الكتب قد وجهها الباشا محمود قائد حملة السعديين علي صُنغي إلى المغرب"[١] .

وتعد مكتبة أحمد بن أحمد بن عمر أقيت (٩٢٩-٩٩١هـ/ ١٥٢٢-١٥٨٣م) من أبرز هذه المكتبات العلمية ، وقد أهتم صاحبها كثيرا بجمع الكتب الثمينة النفيسة وكذلك باستنساخها حتى تكونت لديه مكتبة ضخمة لجأ إليها طلبة العلم للنهل من معينها . وقد عرف مؤسسها بتقديم الخدمة العلمية المتواصلة لطلبة العلم في مجال البحث والدراسة ، ولذلك قيل عنه أنه : "كان وافر الخزانة العلمية سموحا بإعارتها "[٢] ، وكانت مكتبته كبيرة جدا ،فتحها لكل من يرغب في الاستعارة وترك بها حوالي سبعمائة مجلد ورثها ابنه من بعده وزاد عليها[٣] .

أما مكتبة الحاج أحمد بن عمر فهي مكتبة غنية بأمهات الكتب المتداولة والمشهورة في شتى فنون المعرفة ، أسسها الحاج أحمد هذا ولذا سميت مكتبته الخاصة بمكتبة الحاج أحمد . وقد عرف الحاج أحمد بالعلم والاعتناء بطلبته ويذكر بأنه ورث مجموعة كبيرة من مقتنيات مكتبته عن جده لامه الفقيه أندغ محمد و خاله الفقيه مختار النحوي[٤] ، كما قام بنسخ كتبه وكتب بخطه عدة دواوين وعددا من الكتب[٥] .

كما تعد مكتبة محمد بغيغ الونكري من أعظم المكتبات العلمية الخاصة في تنبكت[٦] ، وقد جمع فيها صاحبها هذامعظم أمهات الكتب النفيسة والنادرة التي

---

(١) محمد الغربي : بداية الحكم المغربي في السودان الغربي ، ص ٥٥٦ .

(٢) الولاتي : مصدر سابق ، ٢٩ .

(٣)أحمد بابا: مصدر سابق ، ص ١٣ .

ELIAs N .: op,cit,p ٧٩.

(٤) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

(٥) المصدر السابق ، ص ١٣٧ .

(٦) محمد حجي : الحركة الثقافية في عهد السعديين ، جـ١ ، ص ١٩٤ .

كانت مشهورة في عصره ، وكان يسمح بإعارة الكتب حبا في نشر العلم وإفادة طلابه[١] .

ومن أشهر مكتبات فقهاء المالكية مكتبة أحمد بابا التنبكتي وهي مكتبة علمية غنية بمئات المجلدات من أمهات الكتب النفيسة ، وقد أولي صاحبها أحمد بابا اهتماما خاصا بالعلوم الشرعية ، وإقبالا عظيما على جمع الكتب والمخطوطات ، فأنشأ بذلك مكتبة علمية عريقة احتوت على مجموعة كبيرة من أنفس المصنفات وأكثرها شيوعا[٢] وهي كتب تعد بالمئات كما أسلفنا وندرك ذلك أيضاً من خلال حديثه عن النكبة والمحنة الشديدتين اللتين أنزلها القائد محمود زرقون بعلماء تنبكت ، حيث يقول : " أنا أقل عشيرتي كتبا ، وقد نهبت لي ستة عشر مائة مجلد "[٣].

وهذه المكتبات الخاصة التي ذكرناها هي في الواقع مجرد نماذج لعشرات غيرها ، وقد آثرنا إيراد بعضها نظراً لأهميتها ، وذلك لأن محاولة حصرها تتطلب منا الوقوف على بيت كل عالم من أعلام السودان الغربي ، بل على كل مسجد من المساجد ، وكل مؤسسة من المؤسسات التعليمية المختلفة التي كانت تمتلئ بالكثير من المخطوطات في السودان الغربي .

وكانت تلك الكتب والمكتبات تتوارثها الأجيال جيل من بعد جيل ، مما وفر لديهم مجموعة كبيرة من الكتب التراثية والفقهية مما جعل لديهم رصيد متنوع من التراث الفكري والثقافي مما هم فى دفع الحركة الفكرية والثقافية داخل بلاد السودان

---

(١) أحمد بابا : مصدر سابق ، ٦٠٠، ٦٠١ .

(٢) السعدي : مصدر سابق ، ص ٣٥.

(٣) الافراني :نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي عشر ، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشاذلي ، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص ١٧١ . وانظر : أحمد بابا التنبكتي ، الندوة التي عقدتها الإسسكو بمناسبة مرور أربعة قرون ونصف على ولادته بمراكش ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم إيسسكو ، الرباط ،ص ٣٠.

الغربي . وقد أثمرت هذه الحركة في المشاركة في الحياة الفكرية مما أتاح لهم دورا كبيرا في الإنتاج العلمي والثقافي أثروا به المكتبة العربية والإفريقية بالعديد من التآليف المتنوعة .

٣ ـ الإنتاج العلمي والثقافي لفقهاء المالكية :

لم يعثر الباحث عن أيه إنتاج علمي لفقهاء المالكية في زمن دولة مالي فكتب التراجم والطبقات لم تشر إلي فقهاء عاشوا زمن دولة مالي وكان لهم إسهام في مجال التأليف في الفقه المالكي . لذلك فأن المعلومات التي توافرت عن الإنتاج العلمي لفقهاء المالكية في السودان الغربي تخص دولة صنغي الإسلامية ، فقد قام الكثير من فقهاء المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي بإثراء الحياة الفكرية وذلك عن طريق مؤلفات وكتابات في شتى المجالات ومختلف المعارف سواء في الفقه أو اللغة أو التراجم أو التاريخ أو التصوف ، وكان لهم بعض الرسائل والتعاليق . وسنتناول بعض الفقهاء البارزين الذين تركوا لنا شيئا من التراث العلمي ، وهم في جملتهم كثيرين ولكن الذين سنعنى بدراستهم ما هم إلا نماذج توافرت بعض المعلومات عنهم ، وعن نشاطهم العلمي وتراثهم الثقافي .

ألف الفقيه أحمد بن عمر المتوفى عام (٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م) قصائد شعرية في مدح الرسول ﷺ، وعنه يقول حفيده أحمد بابا : " ...وكان فقيها نحويا لغويا عروضيا محصلا بارعا حافظا معتنيا بتحصيل العلم ونسخ كتبه و كتب بخطه عدة دواوين وجمع كثير من الفوائد والتأليف ..." وأكبر دليل على ذلك أنه ترك مكتبة بها نحو سبعمائة مجلد[1] . كما كان الفقيه محمود أقيت (٨٦٨ـ٩٥٥هـ/ ١٤٦٣ـ١٥٤٨م) شرحا علي مختصر خليل ، قام بجمعه طلابه عندما كان يدرس

(١) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ١٣٧ .

مختصر خليل وقد كتبوا دروسه عن هذا الشرح في مجلدين وانتشر هذا الشرح في السودان الغربي[١].

أما القاضي محمد أقيت المتوفى عام (٩٧٣هـ/ ١٥٦٥م) والذي لم يكن له نظير في عصره في الفهم والدهاء ورجاحة العقل[٢] كان له تعليق على رجز المغيلي في المنطق. والفقيه أحمد بن سعيد (٩٣١-٩٧٦هـ/ ١٥٢٤-١٥٦٨م) الذي كان من فقهاء المطلعين ومن حفاظ القرآن المتقنين كان له استدراكات في الفقه وحاشية على مختصر خليل[٣].

كما كان العلامة الفقيه أحمد بن أحمد بن عمر أقيت المتوفى عام (٩٩١هـ/ ١٥٨٣م) إنتاج علمي رائع مكتوب بخط يده، إضافة إلى تلك المكتبة المشار إليها آنفا، ومن مؤلفاته حاشية على شرح التتائي على مختصر خليل بين فيها مواضع السهو منه. وله تعليقات على صغرى السنوسي في العقيدة، وشرح على منظومة القرطبي التي اشتهرت بالقرطبية، وشرح تخميسات الفزازية في مدح الرسول ﷺ، كما كان له شرح جامع حسن على منظومة المغيلي في المنطق في كتاب سماه " مناخ الأحباب من منح الوهاب "وكانت له مباحث في هذا الكتاب[٤]، وشرح جمل الخونجي[٥]، وكما يقول ابنه أنه كتب الكثير من الحواشي على كتب عديدة في

(١) الاروانى : مصدر سابق : ص ٩١، ٩٢.

(٢) أحمد بابا : مصدر سابق، ص ٥٩٧.

(٣) المصدر السابق، ص ١٤٢، ١٤٣، السعدي : مصدر سابق، ص ٤٣، الاروانى : مصدر سابق، ص ٨٦.

(٤) أحمد بن أحمد بن عمر أقيت :"مناخ الاحباب من منح الوهاب " ضمن مجموعة بالخزانة العامة بالرباط، رقم ٥/ ١٨٩٠.

(٥) محمد مخلوف : شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ص٢٨٦ ،البرتلى : فتح الشكور، ص٣، ٤.

الفقه لكن للأسف لم يصل إلينا شئ منها[١] كما ألف الفقيه صالح بن محمد بن عمر وهو من أهل الفضل والعلم شرحا على مختصر خليل[٢].

وكان للعلامة اللغوي أحمد أندغ محمد والذي كان موجوداً فى عام (١٠٠١هـ/ ١٥٩٢هـ)[٣] إنتاج علمي عظيم ، يتمثل في مؤلفات وشروح[٤] لم نقف على معظمها . وأهم إنتاجه العلمي شرحه على "الأجرومية" والذي سماه " الفتوح القيّومية في شرح الأجرومية "[٥] ، وهو مؤلف قيم يمتاز بأسلوب علمي موضوعي ممتاز ، كما أنه يتضمن في طياته معلومات مفيدة ، تدل فعلا على طول باعه في العلوم العربية ، وكثرة اطلاعه على دقائق الأمور .

كما كان الفقيه بابكر بير بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت (٩٣٢-٩٩١هـ/ ١٥٢٥-١٥٨٣م.) نموذجا حي للعلماء الذين يقومون بالتدريس وينفق على تلاميذه المحتاجين ، لاسيما الأيتام[٦] ، وكان له كتاب في التصوف أسماه معين الضعفاء في القناعة[٧] .

وأسهم الفقيه أحمد بابا التنبكتي في أغناء المكتبة العربية بمجموعة من الكتب والرسائل العلمية ،وهي تدل على سعة مداركه وتحصيله العلمي ، ومعرفته بكتب

---

(١) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ١٤١، ١٤٢.

(٢) السعدي : مصدر سابق ، ص ٣٦.

(٣) الاروانى : السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت ، ص ٩٧.

(٤) المصدر نفسه ، نفس الصفحة .

(٥) مخطوط بمركز أحمد بابا تحت رقم : ١٩٢٨ ، ووضع له العالم التنبكتي محمد بن عمر بن أقيت حاشية سماها : " حاشية القيومية على الأجرومية " وهو كذلك مخطوطة محفوظة بالخزانة الحسنية بالرباط ، تحت رقم : ٧٥٣٤ .

(٦) السعدي : مصدر سابق ، ص ٤٦.

(٧) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ١٥١.

التراجم والتاريخ والفقه . وقد بلغ مجموع ما ألفه فيما أحصاه الدكتور عبد الحميد الهرامة في مقدمة كتاب نيل الابتهاج ثلاثين كتابا[١] ، في علوم مختلفة في التاريخ والتراجم والفقه والعقيدة والحديث والتصوف ، وتستوقفنا في هذا الصدد عناوين بعض هذه الأعمال العلمية التي نذكر منها على سبيل المثال :

المقصد في الشرح على مختصر خليل ، حاشية منن الجليل على مهمات تحرير الشيخ خليل ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، الذي ترجم فيه لعدد هائل من الأعلام المالكية ، فاعتبر بهذا العمل الشخصية العلمية الوحيدة في عصره التي استطاعت أن تسجل أحداثا وأعلاما وعناوين كتب ومناخا أدبيا وفكريا وحضاريا . فعد عمله العلمي هذا رصيدا في غاية الأهمية في مجال التراث العربي الإسلامي[٢] ، وقد أكمل أحمد بابا هذا الكتاب أثناء وجوده في مراكش[٣] وألف أيضا كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج ، والنكت الوفية بشرح الألفية ، والتحديث والتأسيس في الاحتجاج بابن إدريس ، واختصار شرح المقدمة الصغرى ، وجلبُ النعمةِ ودفع النقمةِ بمُجانبةِ الولاةِ الظَّلَمَةِ ، ومعراج الصعود إلى نيل حكم مجلوب السود ، أو الكشف والبيان لحكم مجلوب السودان وغير ذلك من الكتب[٤].

---

(١) أحمد بابا : مصدر سابق ص١٧ ، ١٨ .

(٢) عبد الجليل التميمي، معلمة بيليوغرافية للأعلام المغاربة ، المجلة التاريخية المغربية العدد ٣٣ ، تونس ، ١٩٨٤م ص٤٢ .

(٣) cuoq ز : op .cit,p٢٢.

(٤) منها (النكت المستجادة في مساواتها (الفاعل والمبتدأ) في شرط الإفادة ، ترتيب جامع المعيار للونشريسي ، نيل الأمل في تفضيل النية على العمل ، اللالي السندسية ، مختصر عن المواهب القدسية لمحمد الملالي ، غاية الأمل في تفضيل النية على العمل ، تعليق على مواضع من خليل ومواضع من أبن الحاجب ، مسائل متضمنة فنونا في صورة أسئلة ، فتح المحيى في مسألة حي ، المسك الانم إلى معرفة هلم منور الحالك في شرح بيتي أبن مالك ، المطلب والمآرب في أعظم أسماء الرب ، جزء في تكفير الكبائر بالإعمال الصالحة ،(نشر العبر ، خمائل الزهر ، الدر النضر وهؤلاء الثلاثة كتب في الصلاة على النبي ﷺ) رسائل نثرية مودعة في المكتبة الجزائرية ، فوائد النكاح على مختصر كتاب الوشاح للسيوطي ،

وكان إسهام العلامة محمد بغيغ(٩٣٠-١٠٠٢هـ/ ١٥٢٣-١٥٩٣م) في التأليف كبيراً، وكان له تعليقات على شرح الخليل في الفقه، وتنبيه ما في شرح التتائي من سهو[١]،أيضا مصنف سماه قرعة الطيور[٢] ، كما أن له مؤلفات أخرى في الفقه المالكي ، وفتاوى عديدة لم تصل أغلبها إلينا ، ربما لضياعها بالإعارة أو لتأثرها بعوامل الخراب والاضطرابات السياسية المتعاقبة . وهكذا كان الفقيه محمد بغيغ من الفقهاء الذين لهم دور ثقافي وحيوي عظيم في انتعاش الحركة العلمية ، ونشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية في معظم ربوع السودان الغربي .

كما ألف فقهاء المالكية في مجال التاريخ والتراجم فنجد الفقيه القاضي محمود كعت المتوفى عام (٩٥٢ هـ/ ١٤٩٥م) في تنبكت[٣] قد ترك آثارا علمية باقية في مجال الثقافة العربية الإسلامية في السودان الغربي ، وقد تخصص القاضي كعت في تاريخ بلاد السودان الغربي حتى عدّ أكبر مؤرخ لها[٤].ومن أهم مؤلفاته التي وصلت إلينا كتاب " تاريخ الفتاش في أخبار الملوك والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار" و قام حفيده ابن المختار العلمية بإكمال مؤلفه تاريخ الفتاش بعد وفاته . وقد تناول هذا الحفيد فيه كلا من مملكة غانة وأصول ملوكها، وكذلك مملكة مالي ، ثم دولة صنغى فتحدث عن بداية عهد أسكيا

معراج الصعود ، أشار إليه السلاوي في الاستقصا ، استطراد الظرفاء ، ذكره مؤلف بذل المناصحة وأشار إلى إنه أخفاه إلى أن سافر إلى بلاده ، تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء ، مرآة التعريف بفضل العلم الشريف) ، أنظر أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص ١٧، ١٨ .

(١) أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص : ٦٠٣.

(٢) هذا الكتاب موجود في قسم المخطوطات العربية بمعهد الأبحاث العلمية والإنسانية ، (I . R . S . H).

(٣) أبو بكر إسماعيل :مرجع سابق ، ص : ٢٠٩.

(٤) فاي منصور علي : ص : ٧ ، مرجع سابق .

الحاج محمد ، وأدائه لفريضة الحجّ وأثنى عليه كثيرا ، في حين أنحى باللائمة على سني علي ووصمه بالخارج عن الدين (١) .

وهكذا كان إن هؤلاء الفقهاء الإعلام الذين ذكرنا بعض مؤلفاتهم أغنوا الحياة الفكرية في بلاد السودان الغربي ببعض هذه المؤلفات التي تمثل معظمها في شروح وتعليقات أسهمت في دعم المذهب المالكي الذي كان سائد في تلك البلاد .

الصلات العلمية والثقافية بين فقهاء مالكية السودان الغربي وفقهاء المالكية في المغرب ومصر والحجاز :

تعد الصلات العلمية والثقافية بين فقهاء المالكية ببلاد السودان الغربي وفقهاء المالكية في كل من المغرب ومصر والحجاز صلات ضاربة الجذور في التاريخ ، وخاصة الصلات المغربية ، ولهذا وصفت الثقافة في السودان الغربي بأنها ثقافة مغربية علي أرض سودانية (٢) . كما ساهمت التأثيرات المصرية والحجازية في رفع شأن فقهاء بالسودان الغربي (٣) من خلال كتب الدراسة والإجازات العلمية

---

(١) كعت: مصدر سابق ، ص ١٥٠، ١٥١، ١٥٢.

(٢) في هذا الموضوع كتب القلقشندى (٧٥٤-٨٢١هـ/ ١٣٥٣-١٤١٨) " ...وكتابتهم بالخط العربي على طريقة المغاربة ، وهذا دليل على عمق الاتصالات الثقافية بين الجانبين، أنظر القلقشندى : مصدر سابق ، جـ٥، ص ٢٩٨.

(٣) حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ، ص ٢٤٤، كان أهل الأراضي الحجازية يمتازون بحسن الجوار للغرباء ، فمن مكارمهم ومآثرهم أنه متى صنع أحد أفراد مكة وليمة ، بدا بإطعام الفقراء والمنقطعين والمجاورين في الليالي المباركة ، أنظر حسين مراد : المجاورون المصريون في الحرمين الشريفين ٥٦٧-٦٤٨هـ/ ١١٧١-١٢٥٠م، المجلة التاريخية المصرية ، عدد ١٩٩٥م، ص ١٢١، ١٢٣.

والمرسلات ويرجع ذلك إلي أن الأفكار في العالم الإسلامي لا تعترف بالحدود ، كما لا يتعرف هؤلاء العلماء باختلاف الأعراق والجنسيات والألوان(١) .

(أ)الصلات العلمية بين بلاد السودان الغربي وبلاد المغرب :

كان الاتصال بين المغرب والسودان الغربي قديما ، حيث تأثرت الأخيرة بالنمط الثقافي المغربي . ومن أبرز هذه الاتصالات العلمية والثقافية رحيل عدد من أبناء السودان الغربي للدراسة في بلاد المغرب ومن أبرز هؤلاء الفقيه كاتب موسى وهو من العلماء الذين رحلوا إلى فاس لطلب العلم بأمر من السلطان منسا موسى(٢) . والفقيه عبد الرحمن التميمي المكي الذي جاء إلى السودان مع منسا موسى أثناء عودته من رحلة حجه ليقوم بالتدريس في تنبكت ، ولما وصل إلى مدينة تنبكت وسكنها وجدها حافلة بالفقهاء والعلماء الذين تفوقوا عليه العلم فأضطر للرحيل إلى فاس ليتفقه هناك (٣).

كما رحل فقهاء المغرب إلي تلك البلاد فقد شاهد ابن بطوطة عدد من فقهاء المالكية المغاربة في بلاد السودان الغربي فألتقي في مدينة ولاته بأحد فقهاء مدينة سلا(٤) ويدعى الفقيه ابن بداء(٥) ، كما التقي ابن بطوطة أيضا بقاضي مدينة ولاته وهو الفقيه المغربي محمد بن عبد الله بن ينومر ، كما التقى بأخيه يحيى وكان فقيها

---

(١) cuoq ,j : op .cit,p٢٧.

(٢) السعدي : مصدر سابق ، ص ٥٧.

(٣) نفس المصدر ، ص ٥١.

(٤) سلا مدينة تقع بالمغرب الأقصى على ساحل المحيط الاطلنطى ، منها إلى مدينة مراكش عشر مراحل و لها نهر كبير في غرب هذا النهر كما أختط عبد المؤمن بن على مدينه سماها المهدية ، ياقوت الحموي: مصدر سابق،ص ٢٣١.

(٥) ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص٦٦١.

ومدرسا هناك[١] . كما ألتقي ابن بطوطة بشيخ المغاربة في مدينة تكدة[٢] ويدعى الفقيه إبراهيم بن إسحاق بالإضافة إلى الخطيب محمد ، والمدرس الفقيه أبو حفص المسوفي[٣] والشيخ التلمساني الذي يعلم الناس القرآن الكريم والفقه[٤]، والشيخ المزورى المراكشي الذي قابله ابن بطوطة[٥] ، والمقرئ عبد الواحد بشمعة[٦] والشيخ الموصلي[٧] وسعيد بن على الجزولى[٨]. ولكثرة التواجد المغربي في دولة مالي علي هذا النحو وجد ابن بطوطة حي من أحياء العاصمة خاصاً بهم ويدعى محلة البيضان ، ويطلق أهل تلك البلاد على المالكيين من البيض لقب " تورى"[٩] ، وكان كبير المغاربة في العاصمة هو محمد بن الفقيه الجزولى الذي التقى به ابن بطوطة ، كما التقي بصهره الفقيه عبد الواحد و الفقيه الدكالي ، والفقيه محمد بن عبد الله بن بنومر وغيرهم من الفقهاء المغاربة (١٠).

وتعمقت الصلات بين البلدين زمن دولة صُنغي مع مجئ الإمام محمد عبد الكريم المغيلى(٧٩٠-٩٠٩هـ/ ١٣٨٨-١٥٠٣م) الذي ارتحل إلى بلاد السودان ودخل

---

(١) نفس المصدر : ص ٦٦١.

(٢) تقع مدينة تكدة على بعد ١٨٠ كيلومتر من أغاديس الحالية إلى الشمال الغربي منها ، المصدر السابق ، ص ٦٧٩.

(٣) نفس المصدر ، ص ٦٧٩.

(٤) حسين مراد: المذهب المالكي في السودان الغربي ، ص٨٢.

(٥)٠- ابن بطوطة :مصدر سابق ، ص٦٦٥.

(٦)١- المصدر السابق ، ص٦٦٤.

(٧)٢- وهو من علماء بجاية أنظر ، الغبرينى " العباس أحمد ، ت ٧٠٤هـ/ ١٣٢٦م" عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تحقيق رابح بونار ، الوطنية للنشر والتوزيع ، وطبعة المطبعة الثقافية الجزائر ، ١٣٢٨هـ ص ١٦٦، ١٦٧.

(٨)٣- المصدر السابق ، ص ٦٧٧.

(٩) المصدر السابق ، ص ٦٦٤.

(١٠) ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧.

بلدة تكدا ووصل إلى مدينة جاو في أوائل القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي . وأجتمع بسلطانها أسكيا محمد الكبير وتذاكر معه جملة من المسائل الفقهية فألف له تأليفا إجابة فيه عن هذه المسائل (١) حيث وجه الاسكيا للعقيدة الصحيحة(٢) كما عمل مستشارا سياسيا وفقهيا له كما قام الإمام المغيلي بتأليف عشرات الكتب والشروح (٣) .

وتأكيدا على الصلات العلمية بين السودان الغربي وبلاد المغرب ما حدث من إرسال رسائل وكتب تعبر عن الاهتمام بما يحدث من أمور مرتبطة بالدين والدنيا بين الفقيه أحمد بابا من جهة وبين فقهاء المغرب من جهة أخرى ، منها مراسلاته وفتواه الشهيرة في مسألة العبيد بعد أن أرسل أهل توات رسائل إلى أحمد بابا التنبكتى حول مجلوب السودان فرد عليهم أحمد بابا بالجواب حول حكم الإسلام في رسالة سماها الكشف والبيان لحكم مجلوب السودان(٤).

---

(١) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ٥٧٧.

(٢) أبو بكر إسماعيل : مرجع سابق ،ص ١٧٠.

(٣) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ٥٧٧.

(٤) أحمد بابا : معراج الصعود "أجوبة أحمد بابا حول الاسترقاق" ، تحقيق وترجمة فاطمة الحراف، وجون هانويك ، المملكة المغربية ،جامعة محمد الخامس ، منشورات معهد الدراسات الإفريقية بالرباط ، ٢٠٠٠م، ص ٥١، ٦٩. وهناك المزيد من الامثلة التى تدل على الاتصال بين السودان الغربي وبلاد المغرب وكذلك علو شأن الفقيه أحمد بابا ومنها أثناء وجوده فى المغرب بعد الغزو السعدى ومنها من ذهب للحصول على الإجازة العلمية ، وتحضرنا هناك أربعة نماذج من هذه الإجازات أجازة أحمد بابا التنبكتيالذي قام بأجازة في عام١٠٠٨هـ/ ١٥٩٩م أبى الفضل محمد بن عبد الله بن سعيد بنعبد المنعم الحاحى (٤) ، وكذلك إجازته في عام (١٠١٠هـ/ ١٦٠١م) إلى أبى زيد بن الوقاد عبد الرحمن التلمسانى (٤).كما قام أحمد بابا التنبكتى بإجازة تلميذه أحمد بن محمد فهدى التواتى ثم المراكشي وكذلك قام بإجازه الفقيه عبد الرحمن التمرتى في عام (١٠٣٥هـ/ ١٦٢٦م) وكانت هذه الإجازة بالمراسلة والفقيه أحمد المقري التلمسانى المتوفى عام (١٠٤١هـ/ ١٦٣١م) الذي منحه (إجازتان).وتأكيدا على الصلات العلمية بين السودان الغربي وبلاد المغرب ما حدث من رسائل وكتب تعبر عن الاهتمام بما يحدث من أمور مرتبطة

كما أفتى أحمد بابا بفتوى حول أعراف جزولة و هي عبارة عن أمور تتعلق بالإحكام العرفية التي كانت سائدة في تلك الجبال المغربية ناحية السوس الأقصى(١) . وما ذكرناه لايدل إلا علي بعض الصلات العلمية والثقافية التي ربطت بين علماء السودان الغربي وعلماء بلاد المغرب ، وهي صلات عميقة الجذور ضاربة في التاريخ.

(ب) الصلات العلمية مع مصر :

كانت الاتصالات الثقافية بين السودان الغربي ومصر صلات قوية حيث أصبحت مصر موئل الفكر الإسلامي في الشرق حيث كان وقوعها على طريق الحج ، وكان الأزهر الشريف كعبة المسلمين ومركزا لدراسة شتى أنواع العلوم ومن ثم تبوأ نوعا من الزعامة الفكرية والثقافية في العالم الإسلامي كله .

وترجع هذه الصلات العلمية والثقافية مع مصر إلي زمن دولة مالي ، فقد توافد في عهدها طلاب العلم من السودان الغربي إلي مصر ليتزودوا بالعلم والمعرفة علي يد مجموعة كبيرة من علمائها الذين ذاع صيتهم في الفقه المالكي . ومع تكاثر

بالدين والدنيا بين الفقيه أحمد بابا من جهة وبين فقهاء المغرب من جهة أخرى ، منها مراسلاته وفتواه الشهيرة في مجال التدخين وعرفت بـ(قواعد أحمد بابا في حلية التدخين)وجاء رد أحمد بابا عليها مفصلا في كراسة أطلق عليها أسم :"اللمع في الإشارة لحكم التبغ والذي انتهى من تأليفه عام (١٠١٦هـ/ ١٦٠٧م) ووعد بكتاب أخر يكون أكمل وأتم بعنوان : عين الإصابة في مسألة طابة ، وكانت فتوى أحمد بابا الذي كان من المدمنين على التدخين القائلين بحليته مادام غير منوم وغير مفسد للوضوء ، فهي ليست كالخمر، ولا تتصف بصفاته أنظر أحمد بابا التنبكتي : قواعد في حلية التدخين ، مخطوط ، معهد البحوث والعلوم الإنسانية نيامي "النيجر" رقم ٢٥١، ورقة ١، مطير سعد غيث : الثقافة العربية الإسلامية ، ص ١٢٦ .أنظر الملاحق ،وكان هذا رد فتواه حين استفتاه قاض فاس على بن عمران ، وقاضى درعه أحمد البوسعيدي وغيرهما حين استفتوه في ذلك.

(١) حسن الصادقى : جوانب عن التواصل الثقافي شمال جنوب ضفتي الصحراء الإفريقية ، مجلة المغرب الإفريقي، مجلة متخصصة في التراث والدراسات الإفريقية ، جامعة محمد الخامس ،معهد الدراسات الإفريقية ، الرباط ، العدد ١ ،عام ٢٠٠٠م، ص ٩٢.

هؤلاء الطلاب الذين يأتون من بلاد السودان الغربي ، فقد أسس لهم رواق في الأزهر عرف برواق التكرور (١) .

ومن هؤلاء الطلاب الوافدين علي مصر فاتح بن عثمان التكروري المتوفى عام (٦٩٥هـ/ ١٢٩٣م) والذي جاء من مراكش إلي مصر وتفقه علي أيدي علمائها ثم جلس ليعلم الفقه في مسجد فتح بمدينة دمياط (٢) .

وهاهو الفقيه صبيح التكروري المتوفى عام (٧٣١هـ/ ١٣٣٠م) وكان قد جاء إلي مصر وتفقه علي الشيخ النجيب ، والشيخ شمس الدين بن العماد وغيرهما (٣) .

كما تعلم في مصر الشيخ محمد بن أحمد بن عثمان بن عبد الله بن سليمان الحراز العز التكروري المتوفى عام (٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م) التكروري الأصل و القرافي المدفن ، حفظ القرآن الكريم كله بمصر وتفقه على بعض مشاهير الفقهاء المصريين في عصره(٤).

هذا بالأضافه إلي زيارة منسا موسي إلي مصر أثناء رحلة حجه الشهيرة التي كان لها عظيم الأثر في الاتصال الثقافي والعلمي بين السودان الغربي ومصر بعد أن قام بشراء الكثير من كتب الفقه المالكي ليوفر لأهل دولته منهل من الثقافة المصرية .

---

(١) عبد القادر زيادية : مرجع سابق ، ص ١٤٦ ، الشيخ الامين محمد عوض الله : مرجع سابق ، ص ١٩٨.

(٢) علي مبارك : الخطط التوفيقية ، جـ٤ ، الهيئة المصرية للكتاب ، طـ٢، ١٩٨٠م، ص ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤.

(٣)ابن حجر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، دار الجيل ، بيروت ، يدون تاريخ ، جـ٢، ص ٣٠٤.

(٤) السخاوي : الضوء اللامع لاهل القرن التاسع ، مكتبة القدس بالقاهرة ، ١٣٥٣هـ،جـ٩ ص ٢، ٣.

وتبع هذا الاتصال الثقافي والعلمي رحلَ الكثير من فقهاء السودان الغربي إلى مصر وإقامة مدرسة خاصة بهم بجوار الأزهر(١) .

كما ذكر ابن بطوطة أثناء زيارته للعاصمة مالي في عهد منسا سليمان أسم طبيب مصري طلب منه دواء ليعافيه وأخذه وشفي ، ولذلك من الراجح وجود بعض المصريين الفقهاء في العاصمة المالية (٢) .

وإذا كانت الصلات العلمية بين السودان الغربي ومصر ترجع إلي زمن دولة مالي فقد تعمقت هذه الصلات زمن دولة صُنغي ونجد في مقدمتها الاتصالات مع الإمام عبد الرحمن السيوطي(٨٤٩ـ٩١١هـ/ ١٤٤٥ـ١٥٠٥م) الذي ذاع صيته العلمي وتعددت مؤلفاته والتي وصلت حوالي ثلاثمائة كتاب (٣). كما كانت له صلات واسعة مع العديد من سلاطينها وعلمائها رغم عدم زيارة الإمام السيوطي لبلاد السودان الغربي حيث كان السفر والانتقال إنما لكتبه فقط (٤) .

كما كان للأمام السيوطي أيضاً مراسلات هامة مع علماء السودان الغربي منها الرسالة التي بعث بها الفقيه شمس الدين بن محمد اللمتونى في عام ٨٩٨هـ/ ١٤٩٣م ، والتي كانت تحتوى على مسائل وتساؤلات فقهية متعددة تعبر عن الواقع الديني والثقافي والاجتماعي لمجتمع السودان الغربي وقد سماها : (مطلب الجواب بفضل بفصل الخطاب) (٥) ، وجاء رد الإمام السيوطي بجواب أسماه :

---

(١) فيج : تاريخ غرب أفريقيا ، ترجمة وتحقيق السيد نصر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٨٢، ط١،ص ٥٧ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) السيوطي : حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، وضع حواشيه : خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٧م، جـ١، ص ٢٨٩.

(٤) عبد الله نبهان : الامام السيوطى وفن السيرة الذاتية ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، القاهرة العدد ٣٤، ١٩٩٠م، ص ١٣١، ١٣٢ .

(٥) السيوطى : الحاوى للفتاوى ، جـ١،ص ٣٣٦، ٣٤٣.

(فتح المطلب المبرور وبرد الكبد المحرور في الجواب عن الأسئلة الواردة من التكرور (١) .وقد أورد الإمام السيوطي فيها بعضا من أرائه الفقهية في تلك المسائل(٢) مما يدل علي عمق الصلات العلمية بين الامام السيوطي وعلماء السودان الغربي .

كما التقى الإمام السيوطي بالأسكيا محمد الكبير أثناء وجوده بالقاهرة أثناء رحلة حجه ، فجلس الاسكيا محمد إليه مستفتيا ومتعلما فى مجلسه مما كان له أكبر الأثر في نشر المفاهيم الإسلامية الصحيحة من خلال تلك الفتاوى التي وجهها إليه الاسكيا محمد الكبير(٣) .

كما كانت هناك رسالة من الإمام السيوطي تدل على عمق هذه الصلات كما تدل أيضاً على مدى حرص السيوطي على إقامة العدل واتباع القواعد الإسلامية الصحيحة عند حكام وأمراء السودان الغربي سماها السيوطي :(رسالة إلى ملك التكرور) (٤) وتدل هذه الرسالة أيضا على أن هؤلاء الحكام كانوا أصدقاء للإمام السيوطي ويعملون بمشورته وإرشاداته ، وكان لصدى الاتصالات العلمية بين السودان الغربي والإمام السيوطي أن ترددت أراء الإمام السيوطي الفقهية في العديد من مؤلفات علماء السودان الغربي (٥).

ومن نماذج الاتصالات بين السودان الغربي ومصر تلك الرسالة التي أرسلها أحمد بابا إلى العالم المصري سالم السنهوري(٩٤٥-١٠١٥هـ/ ١٥٣٨-١٦٠٦م) (٦)

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٤٤، ٣٤٦.

(٢) المصدر السابق والصفحات .

(٣) كعت : مصدر سابق ، ص ١٢، ١٣ ، السعدي : مصدر سابق ، ٨٣.

(٤) جلال الدين السيوطي : رسالة إلى ملك التكرور ، مخطوطة ، دار الكتب العامة ، القاهرة ، رقم ٤١٦، مجاميع ميكروفيلم رقم ٤٥٧٩، ورقة ١٣٩ .، وأنظر الملاحق.

(٥) مطير غيث : مرجع سابق ، ص ١٤٣ .

(٦) كان إماما للمذهب المالكي بمصر ،وتفقه علي يد الشيخ محمد البنوفرى ، وأخذ الحديث عن نجم

وعرفت هذه الرسالة بعنوان : أسئلة في المشكلات (١) وأرسلت قبل عام (١٠١٠هـ/ ١٦٠١م) .وكان فحوى هذه الرسالة استفسار من الفقيه أحمد بابا لبعض ما استعصى لديه من موضوعات في مختصر خليل وابن الحاجب ، وتتضمن هذه الرسالة ستا وثلاثين مسألة ، وطلب الفقيه أحمد بابا من الفقيه السنهورى وغيره من علماء مصر أن يفتوا في تلك المسائل(٢) .

كما كان هناك رسالة أخرى من الفقيه أحمد بابا في عام ١٠١٤هـ/ ١٦٠٦م موجهة إلى علماء مصر وعنوانها : مسائل إلى علماء مصر (٣) يسألهم فيها عن أمور استوقفته بلغت واحدا وعشرين مسألة تدور حول مسائل فقهية وتصوف ونحو وأصول ، وطلب منهم أحمد بابا رأيهم مدعماً بأدلة من الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح ، ثم بيان وجهة نظرهم في ما ذهب إليه في فهمة لهذه المسائل(٤).

ومن أكثر الأدلة على الاتصالات العلمية بين السودان الغربي ومصر ما ورد من ردود ومؤلفات على مسألة التدخين والتي تعرض لها الفقيه أحمد بابا والكثير من العلماء ومن ذلك نصيحة إبراهيم اللقانى المصري المتوفى عام (١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)

الدين الغيطى وبرع فى الفقه والحديث وغيرهما ، وهو مؤلف حاشية على مختصر خليل ، أنظر أحمد بابا : مصدر سابق ص ١٩١.

(١) أحمد بابا : مسائل فى المشكلات ، مخطوط ، الخزانة العامة ، الرباط مع مجموعة رقم ٤٧٠ من الورقة ١١٨ظ إلى الورقة رقم ١٤٠ و ، مطير غيث : مرجع سابق ، ص ١٤٥. سوزى أباظة : دراسة حول مخطوطي " أسئلة في المشكلات " و"أسئلة إلى علماء مصر " لأحمد بابا التنبكتى ، ندوة البردي والمخطوطات العربية في أفريقيا ، معهد الدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ، عام ٢٠٠١م ، ص ، سوزى أباظة : عائلة أقيت ، ص ١٦٥.

(٢) مطير غيث : مرجع سابق ، ص ١٤٥ ، سوزى إباظة : مرجع سابق ، ص ١٦٥

(٣) أحمد بابا : مسائل إلى علماء مصر ، مخطوطة ، المكتبة الوطنية ، باريس ، مع مجموعة رقم . ARABe:٥٣٨٢ ،مطير غيث : مرجع سابق ، ص ١٤٥.، سوزى أباظة : مرجع سابق ، ص ١٦٥.

(٤) مطير غيث : مرجع سابق ، ص ١٤٥.

وعرفت باسم نصيحة الإخوان باجتناب الدخان[١] كما ألف على الاجهوري (غاية التبيان لحل شرب ما لا يغيب العقل من الدخان) [٢] .

وتعددت الاتصالات بين علماء السودان الغربي وعلماء مصر يتضح ذلك عندما أحتدم الخلاف بين الفقيه العاقب بن عبد الله الانصمني الذي كان موجوداً قرب (٩٥٥هـ/ ١٥٤٣م) وبين بعض شيوخ بلده حول وجوب الجمعة بقرية أنصمن ، ولحل هذا الأمر بينهم أرسلوا إلى علماء مصر بفحوى هذا الخلاف بينهما ، وقد أفتى علماء مصر بصواب رأى الفقيه العاقب الانصمنى [٣] .

ومن مظاهر الاتصالات العلمية بين السودان الغربي ومصر هو استقرار بعض هؤلاء العلماء في مصر في محلة أو مدينة عُرفت بأسمهم وتعرف حتى ألان باسم بولاق الدكرور حيث كانوا يعيشون فيها بالإضافة إلي سكناهم في نواحي مختلفة من أنحاء القاهرة حيث كانوا يشهدون حلقات العلم في الجامع الأزهر، ويسمعون من شيوخه البارزين ومنهم الفقيه عبد العزيز التكرورى الذي رحل إلى مصر في أوسط المائة التاسعة ، وكان عالما كثيراًويقال إنه عَزَى لا هل مصر جميع مسائل مختصر خليل لأصولها عد ثلاثة منها[٤] .

كما وصل الي مصر الفقيه أحمد بن عمر أقيت المعروف بالحاج أحمد (٨٦٤-٩٤٣هـ/ ١٤٥٩-١٥٣٦م) وهو في طريقة إلى الحج عام(٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م)

---

(١) محمد حجي : الحركة الفكرية ، ص ٢٥٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٥٦، ٢٥٧

(٣) أحمد بابا : نيل الابتهاج ، ص ٣٥٣،أحمد بابا : كفاية المحتاج لمعرفة من ليس فى الديباج ، تحقيق على عمر ، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ط١، ٢٠٠٤م، ص ٢٩٤، ٢٩٥.

(٤) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ٢٧٥.

حيث حضر دروسا علمية و فقهية على يد الإمام السيوطي وخالد الأزهري وغيرهما(١).

كما التقى القاضي محمود كعت ورفاق رحلة الحج (٢)التي كانت مصاحبه للأسكيا محمد الكبير عام (٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م) بعلماء مصر وجلسوا متعلمين في حلقات الأزهر العلمية على يد علمائها وخاصة على الإمام السيوطي (٣).

وعندما جاء الإمام التازختى(٨٧٤-٩٣٦/ ١٤٧٠-١٥٢٩م) إلى مصر وهو في طريق حجه التقى بأشهر علماء مصر ، مثل شيخ الإسلام زكريا وحضر دروس البرهانين وابن أبى شريف وعبد الحق السنباطي والقلقشندى وغيرهم (٤).

كما جاء الفقيه محمود بن عمر أقيت(٨٦٨-٩٥٥هـ/ ١٤٦٣-١٥٤٧م)إلى القاهرة عام(٩١٥هـ/ ١٥٠٩م) والتقى بالفقيه إبراهيم المقدسي والشيخ زكريا والقلقشندى واللقانيين وغيرهم وقام بإجازته الشيخ اللقانى (٥) كذلك فعل ابنه العاقب بن محمود أقيت(٩١٣-٩٩١هـ/ ١٥٤٩-١٥٨٢م) (٦).

---

(١) المصدر سابق ، ص ١٤١.

(٢) من رفاق رحلة الحج محمد تل ، وألفا صالح جور ، ومحمد تتنك ، والقاضى محمود يدبغ ، والشيخ مور محمد ، والقاضي محمود كعت ، أنظر محمود كعت : ص ١٦.

(٣) محمود كعت : ص ١٢، ١٣، السعدي : مصدر سابق ، ص ٨٣.

(٤) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ٥٨٧،

(٥) المصدر السابق ، ص ٦٠٧.

(٦) هما شمس الدين اللقانى ٨٥٧-٩٣٥هـ/ ١٤٤٢-١٥٢٨م و ناصر الدين اللقانى(٨٧٣-٩٥٨هـ/ ١٤٦٨-١٥٥١م) وهما من علماء المشهورين فى الفتوى والتأليف وأنتهت اليهما رئاسة العلم فى مصر ، أنظر أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ٥٩٠، ٥٩١.

و في إثناء زيارة الفقيه أحمد بن أحمد أقيت (٩٢٩-٩٩١هـ/ ١٥٢٢-١٥٨٣م) الي مصر التقي بالاجهورى(١) والتاجورى (٢) و اللقانى وغيرهم من فقهاء المالكية بمصر .

وفي القاهرة التقي الفقيهان أحمد و محمد بغيغ بعدد من فقهاء المالكية في أثناء الذهاب والعودة من رحلة حجهما ومن هؤلاء العلماء ناصر اللقاني والتاجوري والزين البحيري والشريف يوسف والبرهمتوش الحنفي وحصلا منهم علي علم كثير(٣) .

ومن الادله علي الاتصالات العلمية والثقافية بين فقهاء السودان الغربي ومصر ماحدث أثناء عودة المختار بن محمد بن الفقيه المختار النحوي بن أندغ محمد الذي كان مادحا للنبي محمد ﷺ من رحلة حجه (٤) فسلمه الإمام محمد البكري المصري المتوفى عام (٩٩٦هـ/ ١٥٨٧م)) رسالة ليسلمها إلي الاسكيا نوح بن أسكيا داوود المتوفى عام (١٠٠٤هـ/ ١٥٩٥م) (٥) .

وهكذا تعددت الاتصالات بين بلاد السودان الغربي ومصر واستمرت لعدة قرون وأسهمت في أثراء الحياة العلمية في هذه البلاد .

---

(١) الاجهورى :"عبد الرحمن بن على الاجهورى " المتوفى عام ٩٥٧هـ/ ١٥٤٩م، نسبة الى أجهور من قرى الريف المصري ، وكان من المداومين على تدريس مختصر خليل، أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ٢٦٢.

(٢)التاجورى : " هو عبد الرحمن بن الحاج أحمد المغربي الطرابلسي" الشهير بالتاجورى ، وكان له اعتناء بكتاب التهذيب وأخذ الفقه عن الفقيهين الأخوين شمس الدين اللقانى وناصر اللقانى وغيرهما ،، أنظر أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ٢٦٣.

(٣) المصدر السابق ، ص ٦٠١.

(٤) السعدي : مصدر سابق ، ص ٢٩.

(٥) محمود كعت : مصدر سابق ، ص ١٦٧، ١٦٨.

(ج) الصلات العلمية مع بلاد الحجاز :

كانت رحلات الحج التي قام الكثير من أهل السودان الغربي إلي بلاد الحجاز لها دور هام في دعم الاتصالات العلمية والثقافية بين بلاد السودان الغربي وبين بلاد الحجاز ، حيث لم يكتف هؤلاء الحجيج بتأدية الشعائر الدينية فقط بل كانوا يقومون بزيارة بيت الله الحرام وزيارة قبر رسول الله ﷺ ويجاورون هناك ، وكان الترحيب بهم في بلا د الحجاز كبيراً(١) ، وخير دليل علي ذلك الفقيه محمد بن عبد الله التكروري الذي كان خطيبا في بلاده حج وجاور فى المدينة المنورة وظل بها حتى توفي ودفن عام(٧٤٢هـ/ ١٣٤١م) ، وكذلك الفقيه العالم الزاهد القاسم التكروري الذي حج وظل بالمدينة المنورة حتى توفي بها أيضا عام (٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م) (٢) .

وقد حرص بعض أبناء السودان الغربي علي الجلوس في حلقات العلم والحصول على الإجازات العلمية من علماء بلاد الحجاز (٣) ومن هذه الإجازات الإجازة التي حصل عليها إبراهيم بن عبد الرحمن التكرورى وكانت في عام(٩٨٨هـ/ ١٥٨٠م) وكانت هذه الإجازة من الإمام النهروالى (٤).

---

(١) ومما شجع على ذلك في الأراضي الحجازية حسن الجوار للغرباء ، فمن مكارمهم ومآثرهم أنه متى صنع أحد أفراد مكة وليمة ، بدا بإطعام الفقراء والمنقطعين والمجاورين في الليالي المباركة ، أنظر حسن مراد : المجاورون المصريون في الحرمين الشريفين ٥٦٧ـ٦٤٨هـ/ ١١٧١ـ١٢٥٠م، المجلة التاريخية المصرية ، عدد ١٩٩٥م، ص ١٢١، ١٢٣.

(٢) ابن حجر : مصدر سابق : جـ٣ ، ص ٢٤١، ٢٨٧، محمد أمين : علاقات مالي وسنغاي في عصر سلاطين المماليك ، مجلة الدراسات الافريقية ، جمعة القاهرة ، العدد الرابع ، ١٩٧٥م، ٢٩٩.

(٣)وقد أشار المستشرق بوركهات إلي أن الحلقات الدراسية التي كانت تعقد يوميا في الحرم المكي كانت تضم جميع الجنسيات المسلمة ، أنظر

Burckhardt J .L.: Travels In Arabia ,London,١٨٢٩,vol,١,p٣٩٠،٣٩١،٣٩٢.

(٤) النهروالى : هو " محمد قطب الدين بن أحمد علاء الدين بن أبى محمد محمد شمس الدين بن حميد الدين النهر والى ، مفتى مكة المكرمة ، أنظر النهراولى ، محمد قطب الدين بن محمد ، إجازة صادرة منه

كما أخذ الفقيه أحمد بن أحمد أقيت الإجازة أيضاً من الفقيه النهروالى أثناء تأدية فريضة الحج (١) كما أخذ الفقيه أحمد بن أحمد أقيت (٩٢٩-٩٩١هـ/ ١٥٢٢-١٥٨٣م) أثناء تأدية فريضة الحج الإجازة من أستاذه الإمام بركات بن محمد الحطاب(٢) .

كما حصل الفقيه أحمد بابا التنبكتى على الإجازة من إمام المالكية الإمام يحيى بن محمد بن محمد الحطاب(٩٠٢-٩٩٥هـ/ ١٤٩٦-١٥٧٨م)وكانت هذه الإجازة عن طريق المراسلة (٣) ،إما الفقيه محمد بن أحمد بن أبى محمد التازختى الشهير بأيد أحمد المتوفى عام (٩٣٦هـ/ ١٥٢٩م) (٤) فقد منح الإجازة أثناء تأدية فريضة الحج على أيدي أبي البركات النويرى وابن عمه عبد القادر وعلى ناصر الحجازي وأبو الطيب السبتى وغيرهم من علماء الحجاز(٥). بما يدل على عمق الصلات العلمية بين السودان الغربي وبلاد الحجاز وقد ساعد علي ذلك معرفة بعضهم البعض جيدا من هذا عندما سافر الفقيه صديق محمد تعلى إلى بلاد الحجاز لأداء فريضة الحج ، واجتمع بالكثير من الفقهاء والصالحينوجد لديهم وخاصة ومنهم محمد البكري الذي كان على معرفة جيده بعلماء تنبكت محبا لهم ، وكان دائم السؤال عنهم(٦).

أسانيد أحاديث الرسول ﷺ ، إلى الحاج إبراهيم بن عبد الرحمن الجنوى التكرورى ، وثيقة ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس ، رقم ٢٠٦٥، ورقة ١٣ب ، أنظر الملاحق.

(١) التمنرتى ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الجزولى : الفوائد الجمة فى إسناد علوم الأمة ، مخطوطة ، الخزانة العامة الرباط ، رقم د ٣٦٩٣. ، مطير غيث : مرجع سابق ، ص ١٤٧.

(٢) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص

(٣) المقري : أحمد بن محمد : روضة الاس العاطرة الانفاس فى ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس ، المطبعة الملكية ، الرباط ، ط٢، ١٩٨٨م ، ص ١١.

(٤) أحمد بابا : مصدر سابق ، ص ٥٨٧.

(٥) المصدر السابق والصفحة .

(٦) السعدي : مصدر سابق ، ص٦١.

وهكذا تنوعت تلك الاتصالات العلمية والثقافية بين بلاد السودان الغربي والحجاز ومصر والمغرب سواء كانت عن طريق الرحلة في طلب العلم أو عن طريق المراسلات للحصول على الفتاوى الفقهية المختلفة ، أو عن طريق أداء فريضة الحج ، وأدت هذه الاتصالات إلي تنمية الحياة العلمية في بلاد السودان الغربي بالإضافة إلي ترسيخ المفاهيم الصحيحة للعقيدة الإسلامية في هذه البلاد وسيادة روح الإخوة والمودة والترابط بين بلاد السودان الغربي والمغرب ومصر وبلاد الحجاز وكان لفقهاء المالكية في هذه البلدان الفضل الكبير في تحقيق هذه النتائج الهامة .

الخاتمة

يعد المذهب المالكي وفقهاء المالكية في مجتمعي مالي وُصنغي من المحاور الرئيسية التي قام عليها المجتمع في تلك الدولتين ،ولذلك أظهرت هذه الدراسة أهمية الدور الحيوي الذي قام به فقهاء المالكية في كافة مناحي الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية . وقد لقي المذهب المالكي عناية واهتمام حكام تلك البلاد وأهلها ، وساعد حكامُه وفقهاؤه علي نشره ودعمه بفضلّ ما بذلوه من جهود ساعدت أيضا علي انتشاره وسيادته .

وقد أوضحت الدراسة الدور المغربي في دخول الإسلام وانتشاره في بلاد السودان الغربي ودور كل الفرق والمذاهب الإسلامية في هذا الأمر حتى أصبح الاسلام الدين الرسمي في كافة للوحدات السياسية القائمة في تلك البلاد ، وذلك منذ القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي .وأمتد دور المغاربة إلي نشر المذهب المالكي في السودان الغربي حتى أصبح مذهب تلك البلاد بعد أن تغلب علي بقية المذاهب والنحل الإسلامية الاخري كالاباضية والخوارج الصفرية بالإضافة للمذهب الشيعي . وأصبح المذهب المالكي في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي هو المذهب السائد في كافة الوحدات السياسية خلال هذا القرن مما أدي إلي علو شأنه في تلك البلاد.

كما تمخضت هذه الدراسة عن تحديد الأسباب التي أدت إلى انتشار المذهب المالكي وذيوعه في بلاد السودان الغربي وخاصة زمن دولة مالي الإسلامية التي كان لحكامها دور كبير في انتشار المذهب المالكي وذيوعه . وأتضح ذلك من خلال سلطان مالي منسا موسي الذي أكد على انتمائه للمذهب المالكي ومدى فخره بذلك

،كما قام بتوثيق علاقته مع كبار فقهاء المالكية بمصر ، وقام بشراء الكثير من كتب الفقه المالكي ، كما قام بجلب عدد من فقهاء المذهب المالكي إلى بلاده ، كما قام بإرسال طلاب العلم إلى بلاد المغرب الإسلامي للتفقه في مذهب الإمام مالك.

هذا وقد أوضحت الدراسة استمرار ذيوع المذهب المالكي في دولة مالي بعد ذلك بسبب جهود منسا سليمان الذي جلب عدداً كبيراً من فقهاء المذهب المغاربة إلى بلاده ، وقام ببناء عدد من المساجد التي انتشرت بها حلقات تدريس الفقه المالكي وأكد لنا هذا ابن بطوطة الذي زار تلك البلاد وأكد لنا أيضاً على تواجد عدد ليس بقليل من فقهاء المذهب المالكي وخاصة من بلاد المغرب .

كما أبرزت الدراسة أن انتشار اللغة العربية في تلك البلاد كان له أثر واضح في ذيوع المذهب المالكي زمن دولة مالي حيث أعان هذا الأمر في قراءة كتب المذهب المالكي والتفقه فيه ، مما كان سببا في ظهور عدد من فقهاء بلاد السودان الغربي في المذهب المالكي الذين تفقهوا علي أيدي فقهاء مغاربة .

وبينت هذه الدراسة أيضاً أن السيادة للمذهب المالكي قد تحققت بشكل كامل وتام في زمن دولة صُنغي وخاصة زمن حكم الاساكي بسبب جهود بعض حكام دولة صنغى وخاصة أسكيا محمد الكبير(٨٩٨ـ٩٢٤هـ/ ١٤٩٢ـ١٥٨٢م) ، وابنه أسكيا داوود(٩٥٦ـ٩٩١هـ / ١٥٤٩ـ١٥٨٣م) اللذين عملوا على تشجيع فقهاء المالكية في دولتهم ومنحاهم حرية مطلقة ،مما مهد الطريق لفقهاء المالكية للتمكين لهذا المذهب في دولتها .

وأكدت الدراسة أن من أسباب سيادة المذهب المالكي في د لة صُنغى تولى عدد من فقهاء المالكية الخطط الدينية ، ويأتي في مقدمتها خطة القض ء والفتيا . وكان الملك يعين هؤلاء الفقهاء من (المفتون و القضاة) الذين كانوا يقضون بالإحكام الشرعية المستمدة من روح الإسلام وحده ووفق مذهب الإمام مالك .

ومن العوامل الخارجية التي أدت إلي توطين المذهب المالكي في تلك البلاد وأوضحته الدراسة فقه الإمام مالك بالإضافة إلي العامل الجغرافي فقد كان لهذا العامل دوره في توجيه المغاربة إلى بلاد السودان الغربي لنشر الإسلام والمذهب المالكي ، فقد تيسر الاتصال بينهم وبين أهالي تلك البلاد عبر الصحراء بالرغم من بعد الشقة وأخطار الرحلة لانعدام الحواجز الطبيعية . وإذ كان للعامل الجغرافي أثره في نشر الإسلام في تلك البلاد ، فقد كان لهذا العامل أثره أيضا في نشر المذهب المالكي في تلك البلاد ، فمن المعروف تمسك أهل المغرب بالمذهب المالكي والعمل على نشره وهو أمر من الشهرة بحيث لا يحتاج إلى بيان.كما كان لهذا العامل أثره في خروج أهالي السودان الغربي إلي المشرق من أجل أداء فريضة الحج والرحلة في طلب العلم

وقد تمخضت الدراسة أيضاً عن أبرز المكانة التي أحتلها فقهاء المالكية في دولتي مالي وُصنغى بالإضافة إلى الوضع الاجتماعي والنفوذ والتأثير الذي حظوا به بين العامة والخاصة، فقد ارتبطوا بعلاقات مع السلطة الحاكمة كانت في الأغلب علاقات طيبة وفى أحيان أخرى ساءت العلاقة بين الطرفين خاصة في عهد سني علي فقد أعتبر بعض فقهاء المالكية أنفسهم أوصياء على الشريعة والعرش في عهد سني علي ، مما جعلهم يهاجمون سياسته ، فاضطهدوا لذلك وفروا من مدينة تنبكت ، والبعض الأخر من الفقهاء حمتهم السلطة بسبب وضعهم الديني والاجتماعي، الذي أهلهم فيما بعد أن يلعبوا دور المفكرين في المجتمع كمعبرين عن النموذج الذي يجب أن يكون عليه النظام الاجتماعي والثقافي خاصة في عهد الأساكى. و لذلك كان لهم نفوذ كبير بسبب علاقاتهم القوية بالسلطة وخاصة في عهد هؤلاء الاساكي الأقوياء . فكانت لهم مواقف تبرهن على توجيههم للسلطة ، وتبرهن كذلك على تحديهم لسلطة الحكام وإرادتهم إذا ماحادوا عن الطريق القويم ، فنجد أن الحكام خضعوا لهم واستجابوا لهم لدعم مشروعهم السياسي والديني الذي لا يقوم إلا على

أساس هؤلاء الفقهاء . وقد وضع أسكيا الحاج محمد قواعد هذا المشروع وتعامل مع هؤلاء الفقهاء في بلاده بذكاء شديد ، فسعى للتقرب إلى الفقهاء وصاحبهم وقلدهم جميع الأمور لدعم حكمه .

كما أوضحت الدراسة ظهور عدد من العوائل السودانية التي توارث أفرادها وظائف الخطط الدينية والقضائية مثل عائلة أقيت وعائلة بغيغ وعائلة أندغ محمد وعائله الحاج.

وقد بينت الدراسة الدور الاجتماعي الذي لعبه فقهاء المالكية في السودان الغربي زمن دولتي مالي وصُنغي فقد وقع عليهم بشكل واضح عبء الإصلاحات الاجتماعية ومحاولة الحفاظ على قيم المجتمع المسلم ومبادئه . وكانت هذه الإصلاحات ملقاة في المقام الأول على كواهل هؤلاء الفقهاء ، فقد كانت أعين الناس حكاما ومحكومين معقودة عليهم ولذلك لم يألُ العلماء جهدا في سبيل إصلاح المجتمع وتقويمه والقضاء علي بعض هذه العادات و المفاسد التي تخالف الشريعة الإسلامية .

كما أكدت هذه الدراسة علي أن الحركة العلمية في السودان الغربي استفادت من تشجيع حكام تلك البلاد للعلم والعلماء ، فقد دأب بعض سلاطين دولتي مالي وصُنغي علي بناء المساجد أو المساهمة في إنشائها ، والتي لم يقتصر دورها علي المجال الديني فقط ، بل كانت أماكن لتلقي العلم والمعرفة . كما تعددت مظاهر اهتمام هؤلاء الحكام بالعلم والعلماء وقد ترتب علي هذا الاهتمام والتشجيع ظهور العديد من فقهاء المالكية في تلك البلاد .وقد أهتم هؤلاء الفقهاء بالعلم وحرصوا علي التعليم والتعلم .وكان الفقيه المعلم يعد أحد العناصر الأساسية للعملية التعليمية بفضل التكوين الثقافي لهؤلاء الفقهاء ذلك التكوين الذي مكنهم من القيام بدور تعليمي في مجتمعهم فقد ظهر منهم فقهاء ومحدثون ولغويون بارزون في مجال

التدريس والتأليف ساعد علي ذلك تعدد منابع التكوين العلمي والثقافي لفقهاء المالكية في السودان الغربي.

كما أكدت هذه الدراسة ما كان لفقهاء المالكية من أثر واضح في التعليم والتدريس ، فقد قاموا بتدريس عدد من العلوم المختلفة سواء كانت العلوم الشرعية أو علوم اللغة العربية ، والدارس للتاريخ الفكري للإسلام في السودان الغربي لا يمكنه تجاهل الدور المحوري للمؤلفات ذات الأصول المغربية والمشرقية في مناهج الدراسة في المساجد والكتاتيب. خاصة وأن مجتمع السودان الغربي أهتم بمختلف طبقاته باقتناء الكتب والمخطوطات ، والعمل على نسخها بدقة وبخاصة النادرة منها لدرجة أن أصبح للوراقين والنساخ مكانة مرموقة ومتميزة في وسط مجتمع السودان الغربي.

وأبرزت الدراسة مظاهر ازدهار الحياة الثقافية في بلاد السودان الغربي والذي تمثل في قيام الكثير من هؤلاء الفقهاء بإثراء الحياة الفكرية وذلك عن طريق مؤلفات وكتابات في شتى المجالات ومختلف المعارف سواء في الفقه أو اللغة أو التراجم أو التاريخ أو التصوف ، كما كان لهم بعض الرسائل والتعاليق التي أغنوا بها الحياة الفكرية في بلاد السودان الغربي و تمثلت في شروح وتعليقات أسهمت في دعم المذهب المالكي الذي كان سائداً في تلك البلاد.

كما أظهرت هذه الدراسة أهمية المكتبات الخاصة في مجتمع السودان الغربي والتي هي في الواقع مجرد نماذج لعشرات غيرها ، لأن محاولة حصرها ، يتطلب منا الوقوف على بيت كل عالم من أعلام السودان الغربي ، بل على كل مسجد من المساجد ، وكل مؤسسة من المؤسسات التعليمية المختلفة التي كانت تمتلئ بالكثير من الكتب والمخطوطات في السودان الغربي.

وأخيراً أبرزت الدراسة دور الصلات العلمية والثقافية بين فقهاء المالكية ببلاد السودان الغربي وفقهاء المالكية في كل من المغرب ومصر والحجاز حيث كانت صلات ضاربة الجذور، بحيث أثرت هذه الصلات تأثيرا مباشرا في بلاد السودان الغربي ، وخاصة الصلات المغربية حتى وصفت الثقافة في السودان الغربي بأنها ثقافة مغربية علي أرض سودانية .كما كان للصلات المصرية والحجازية مع تلك البلاد أكبر الأثر في رفع شأن فقهاء السودان الغربي.وقد استمرت هذه الصلات بين السودان الغربي وبين كل من المغرب ومصر والحجاز من خلال رحلات الحج ، والرحلات العلمية ، وكذلك كتب الدراسة والإجازات العلمية والمراسلات . ويرجع ذلك إلي أن الأفكار والمفكرين والعلماء والعلوم في العالم الإسلامي كانت لا تعترف بالحدود .

وهكذا برزت الدراسة الدور الكبير الذي لعبه فقهاء المالكية في بلاد السودان الغربي في كافة مناحي الحياة خاصة الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية .